الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي و الفنون

مذكرة مكملة لمتطلبات لنيل شهادة ماستر في الدراسات الأدبية

تخصص: أدب حديث و معاصر

بعنوان :

الصراع الإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة-رواية انا وحاييم للحبيب السايح-

إعداد:

الطالبة: درقال أسماء

إشراف الأستاذ(ة):

الأستاذ: قوفي أحمد

الرتبة/ الاسم و اللقب	اسم الجامعة	الصفة
د/ معمر عبد الله أستاذ محاضر أ	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	رئيساً
د/ قوفي أحمد أستاذ تعليم عالي	جامعة عبد الحميدَ بن باديس مستغانم	مشرفاً و مقرراً
د/ مسعودي فاطمة الزهراء أستاذة محاضر ب	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	مناقشا

السنة الجامعية :2026/2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون

Ministry of Higher Education And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

رخصة إيداع النسخة النهائية لمذكرة الماستر

أنا الممضي(ة) أسفله الأستاذ(ة): .....قوقي أحمد.....

الرتبة العلمية: .....أستاذ التعليم العالي.....

بصفتي مشرفا(ة) على مذكرة الماستر الخاصة بالطالب(ة):

الاسم واللقب: .....أسماء دوقال.....

التخصص: .....أدب حديث ومعاصر.....

السنة الجامعية: .....2025-2026.....

والموسومة: "...الجمال الديونوسي في الرواية الجزائرية المعاصرة.....رواية أناديا هايم للجيب السايح"

أشهد أن الطالب(ة) قد أتم(ت) إنجاز المذكرة وفق التوجيهات العلمية والمنهجية المطلوبة، وبعد مناقشتها والأخذ بعين الاعتبار ملاحظات لجنة المناقشة وتصحيحها، أرخص له(ا) بإيداع النسخة النهائية للمذكرة لدى مكتبة الكلية.

مستغانم في 2026/06/28

إمضاء الأستاذ المشرف

أحمد قوقي
أستاذ
قسم الدراسات اللغوية و الأدبية
كلية الأدب العربي و الفنون
جامعة مستغانم

المصادقة رئيس القسم

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

نائب العميد المكلف بالعلاقة بالطلبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الفهرس I
الشكر III
الاهداء IV
المقدمة ..... أ
أولا: إشكالية البحث ..... أ
ثانيا أسباب اختيار الموضوع :..... ب
ثالثا المنهج المتبع:..... ب
رابعا الصعوبات الموجهة :..... ب
خامسا: خطة تقسيم المذكرة: ..... ج
الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للصراع الإيديولوجى فى الرواية 5
المبحث الأول: مفهوم الأيديولوجيا و الصراع الأيديولوجي 6
المطلب الأول تعريف الإيديولوجيا لغة و إصطلاحا: 6
المطلب الثاني: الصراع الإيديولوجي وأبعاده الفكرية والسياسية 11
المطلب الثالث: تمثّلات الإيديولوجيا في الخطاب الأدبي 13
المبحث الثاني: الصراع الإيديولوجي في الرواية العربية والجزائرية 15
المطلب الأول: تجليات الصراع الإيديولوجي في الرواية العربية المعاصرة..... 15
المطلب الثاني: خصوصية الصراع الإيديولوجي في الرواية الجزائرية..... 19
المطلب الثالث: السياق التاريخي والسياسي وأثره في تشكل الصراع الروائي..... 21
المبحث الثالث: الرواية الجزائرية المعاصرة بين الهوية و التعدد الإيديولوجي..... 24
المطلب الأول: إشكالية الهوية و الإنتماء..... 24
المطلب الثاني: الرواية كفضاء للصراع الرمزي والفكري 26
الفصل الثاني: تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية " أنا وحايم"..... 30
المبحث الأول: البناء السردي،و أثره في تشكيل الصراع الإيديولوجي 31
المطلب الثاني: الزمن والمكان ودلالاتهما الأيديولوجية 33
المطلب الثالث: التقنيات السردية الموظفة في إبراز الصراع 36
المبحث الثاني: الرموز والدلالات المحفزة 38
المطلب الأول: شخصية "الأنا" وتجسيد الأيديولوجيا الذاتية..... 38
المطلب الثاني: شخصية "حايم" وتمثيل أيديولوجيا الآخر 40
المطلب الثالث: الشخصيات الثانوية ودورها في تعميق الصراع 42
المبحث الثالث: مظاهر الصراع الأيديولوجي ودلالاته..... 44

المطلب الأول: الصراع الديني والثقافي 45
المطلب الثاني: الصراع التاريخي والسياسي..... 46
المطلب الثالث: دلالات الصراع الأيديولوجي وانعكاساته الفكرية والفنية..... 48
الخاتمة 51
قائمة المصادر والمراجع.....53
الملخص باللغة العربية
الملخص باللغة الانجليزية

الشكر

الحمد لله العليّ القدير الذي أعاننا بفضله ومنّته على إتمام هذا البحث.

نحنّ بالفضل لأهله، وتجسيداً لقيم العرفان، نتوجه بخالص الشكر والتقدير وجميل الامتنان إلى الأستاذ المشرف الفاضل: **[كوفي محمد]**، الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة التي أنارت دربنا طيلة فترة إعداد هذا العمل.

كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، لتفضلهم بقراءة هذه المذكرة وتقويمها بملاحظاتهم العلمية الثرية.

ولا يفوتنا أن نشكر كل من مدّ لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد، وساهم بكلمة طيبة أو تشجيع صادق في إخراج هذا الجهد الأكاديمي إلى النور.

جزاكم الله عنا كل خير.

الاهداء

إلى نبع العطاء والرضى، إلى من أحمل اسمه بكل فخر واعتزاز؛ والدي العزيز أطال الله في عمره وسند حياتي.

إلى رمز المحبة والحنان، من رافقتني بدعواتها الصادقة في كل خطوة؛ والدتي الغالية حفظها الله ورعاها.

إلى إخوتي وأخواتي، وكل أفراد عائلتي الكريمة الذين كانوا لي دوماً مصدراً للدعم والتشجيع.

إلى زملاء الدراسة، وأصدقائي الأوفياء، وكل من يبهجهم نجاحي.

أهدي هذا العمل المتواضع.

المقدمة

المقدمة

تعتبر العلاقة الجدلية بين النص الروائي والمنظومة الإيديولوجية منطلقاً جوهرياً لفهم الوظيفة الاجتماعية والمعرفية للأدب؛ إذ لم يعد النص مجرد انعكاس سلبي للواقع، بل أضحى أداة فعالة في إعادة صياغته وتأويله.

إن الإيديولوجيا في سياقها النقدي تتجاوز كونها "وعياً زائفاً" أو مجرد نسق مغلق من الأفكار السياسية، لتصبح بمثابة الرؤية الموجهة التي ينسج من خلالها الروائي خيوط عالمه المتخيل، وهي التي تمنح الشخوص هويتها ومبررات وجودها وتفاعلها.

ومن هنا، يكتسب الصراع الإيديولوجي داخل الرواية الجزائرية المعاصرة أهمية مضاعفة، كونه يمثل المختبر الذي تُختبر فيه القيم الإنسانية والوطنية والدينية في مواجهة الآخر.

وتسعى هذه الدراسة للغوص في أعماق الهوية ورصد تحولاتها السوسيو-ثقافية في ظل الصراعات والمخاضات التاريخية العسيرة التي مر بها المجتمع الجزائري.

أولا: إشكالية البحث

تتمحور إشكالية هذه المذكرة حول رصد الكيفية التي استطاع بها الخطاب الروائي الجزائري المعاصر صهر التناقضات الفكرية والسياسية ضمن بنية سردية جمالية مرنة، وذلك بالتطبيق على نموذج حي لاشتباك الذات بالآخر وتداخل الذاكرة بالواقع، وهو رواية "أنا وحايم" للحبيب السايح .ومن هذا المنطلق، يمكن بلورة الإشكالية المركزية في التساؤلات الآتية :

- كيف تمثّل الصراع الأيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة، وبأي كيفية تحولت الأيديولوجيا من فكرة ذهنية صلبة إلى بنية جمالية وسردية داخل النص؟
- ما هي الآليات الفنية والمعمار السردي (سارد، فضاء، زمن، تقنيات) الذي اتكأ عليه الحبيب السايح لتفكيك جدلية الصراع بين الأنا والآخر؟
- كيف توزعت التمثلات الأيديولوجية بين الشخصيات المركزية والثانوية في الرواية، وما هي المظاهر والدلالات (الدينية، الثقافية، التاريخية، والسياسية) الناجمة عن هذا الاحتدام الفكري

ثانيا أسباب اختيار الموضوع :

يعود اختيار موضـــوع "الصـــراع الأيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصـــرة" إلى جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية، أبرزها:

- الأسباب الموضوعية :القيمة المعرفية والنقدية التي يكتسيها البحث في تحولات الهوية الجزائرية من خلال المتون الأدبية، بالإضافة إلى تميز رواية "أنا وحايم" للحبيب السايح بوصفها نموذجاً غنياً بالتمثلات الأيديولوجية الحوارية (البوليفونية) التي تعيد صياغة التاريخ والذاكرة المشتركة خارج الأنساق الأحادية المنغلقة .
- الأسباب الذاتية :الرغبة الشخصية في سبر أغوار العلاقة الجدلية بين الأدب والإيديولوجيا، والوقوف على كيفية اشتغال التقنيات السردية الحديثة في معالجة القضايا الفكرية والسياسية الحساسة، فضلاً عن الشغف بالرواية الجزائرية المعاصرة ومساءلاتها المستمرة لأسئلة الانتماء والتعايش والحرية .

ثالثا المنهج المتبع:

مواءمة لطبيعة الموضـوع المرتكز على أبعاد فكرية وسـردية متداخلة، اعتمدت الدراسـة على المنهج البنيوي السوسيولوجي (السوسيو–بنائي) كمنهج رئيس، مستفيدة من أطروحات النقد الحواري وتعدد الأصـــوات عند "ميخائيل باختين"، ومفهوم البنى الفوقية والوعي الاجتماعي عند "لوســـيان غولدمان."

وقد مكّننا هذا المنهج من الانتقال بالبحث من حيز التنظير المجرد للصـــراع الأيديولوجي إلى فضاء الممارسة التحليلية عبر رصد تجلياته النصية؛ فتم تفكيك المعمار الفني للرواية واستنطاق أدواته من راوٍ وفضـاء وزمن، بالتوازي مع تشريح البنية السوسيولوجية للشخصـيات وعلاقات القوة والهيمنة التي تحكمها، وصولاً إلى استخلاص الدلالات الفكرية والجمالية العميقة للخطاب السردي .

رابعا الصعوبات الموجهة :

لم يخلُ هذا البحث من بعض العقبات والصعوبات التي واجهتنا أثناء إعداده، ومنها:

- التشعب المفاهيمي والاصطلاحي الكبير لمصطلح الأيديولوجيا وتأرجحه تاريخياً بين كونه أداة معرفية لتحليل الوعي وبين كونه تهمة فكرية ترتبط بالوعي الزائف والانغلاق، مما تطلب جهداً مضاعفاً لضبطه إجرائياً بما يخدم خصوصية المذكرة .
- حساسية الطرح الفكري والسياسي والتاريخي المرتبط بالرواية المدونة (أنا وحايم)، والتي تنبش في المسكوت عنه من الذاكرة الجماعية (اليهود الجزائريين وثنائية التعايش والشتات)، والاضطرار الدائم للموازنة بين المقاربة الجمالية للنص والأبعاد السوسيولوجية والتاريخية المحيطة به .
- ندرة الدراسات النقدية الأكاديمية المتخصصة التي تقارب الرواية المعاصرة من زاوية الأدلجة السردية العميقة، مقابل كثرة القراءات السطحية أو الانطباعية التي تكتفي بالتحليل المضموني الجاف للأحداث .

خامسا: خطة تقسيم المذكرة :

جاءت خطة الدراسة متسقة مع المتطلبات المنهجية، حيث تم تقسيم المذكرة إلى مقدمة، وفصلين رئيسيين ،وخاتمة شاملة، وذلك وفق الآتي:

المقدمة :وتضمنت العتبات المنهجية للبحث من تمهيد، وإشكالية، وأسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع، والصعوبات، وخطة الدراسة.

الفصل الأول (الإطار المفاهيمي والنظري للصراع الأيديولوجي في الرواية) :واشتمل على ثلاثة مباحث؛ تناول الأول مفهوم الأيديولوجيا والصراع الأيديولوجي لغة واصطلاحاً وأبعادهما، وتناول الثاني تجليات هذا الصراع في الرواية العربية والجزائرية المعاصرة وأثر السياق التاريخي والسياسي، في حين ركز المبحث الثالث على تمثلات الإيديولوجيا في الخطاب الأدبي وعلاقة الأدب بالمجتمع.

الفصل الثاني (تجليات الصراع الأيديولوجي في رواية "أنا وحايم") :وتم تخصيصه للمقاربة التطبيقية من خلال ثلاثة مباحث؛ فكك الأول البناء السردي (بوليفونية الخطاب، دلالات الزمكان الأيديولوجية، والتقنيات الموظفة)، وقارب الثاني التمثلات الأيديولوجية للشخصيات (شخصية الأنا،

شخصية حايم/الآخر، ودور الشخصيات الثانوية)، بينما استقصى المبحث الثالث مظاهر الصراع (الديني، الثقافي، التاريخي، والسياسي) وانعكاساته الفكرية والفنية .

الفصل الاول:

الإطار المفاهيمى و النظرى للصراع الإيديولوجى فى الرواية

- **المبحث الأول: مفهوم الأيديولوجيا والصراع الأيديولوجي**
- **المبحث الثاني: الصراع الإيديولوجي وأبعاده الفكرية والسياسية**
- **المبحث الثالث: الرواية الجزائرية المعاصرة بين الهوية والتعدد الإيديولوجي**

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للصراع الإيديولوجى فى الرواية

تعد العلاقة الجدلية بين النص الروائي والمنظومة الإيديولوجية منطلقا جوهريا لفهم الوظيفة الاجتماعية والمعرفية للأدب، حيث لم يعد النص مجرد انعكاس سلبي للواقع، بل أصبح أداة فعالة في إعادة صياغته وتأويله. إن الإيديولوجيا في سياقها النقدي تتجاوز كونها "وعيا زائفا" أو مجرد نسق مغ من الأفكار السياسية، لتصبح بمثابة الرؤية الموجهة التي ينسج من خلالها الروائي خيوط عالمه المتخيل، وهي التي تمنح الشخوص هويتها ومبررات وجودها وتفاعلها. ومن هنا، يكتسب الصراع الإيديولوجي داخل الرواية أهمية مضاعفة، كونه يمثل المختبر الذي تختبر فيه القيم الإنسانية والوطنية والدينية في مواجهة الآخر، مما يجعل من العملية الروائية ممارسة نقدية وتفكيكية بامتياز تسعى للغوص في أعماق الهوية.

يتأسس هذا الفصل على ضرورة الحفر في المرجعيات النظرية التي تشكل مفهوم الصراع، وذلك بالانتقال من التنظير العام إلى التطبيق الإجرائي الذي يخدم خصوصية المتن الروائي المدروس. فالبحث في ماهية الإيديولوجيا يتطلب استحضار التحولات التي طرأت على المصطلح منذ نشأته، وكيفية اشتغاله داخل البنية السردية عبر تقنيات الحوارية وتعدد الرؤى التي نادى بها "ميخائيل باختين". إن تحويل الأفكار المجردة إلى مواقف درامية تتصارع في فضاء النص يتطلب آليات فنية معقدة، حيث يتحول الصراع من مستوى التصادم الفكري المباشر إلى مستويات رمزية ونفسية ولغوية تعكس تباين المرجعيات الثقافية واختلاف المواقع الطبقية أو العقائدية، مما يمنح العمل الروائي عمقه التاريخي والجمالي.

المجتمع الجزائري، وكيفية صهر التناقضات الفكرية في قالب فني يطرح أسئلة مصيرية حول التعايش والحرية والانتماء. وبناءً على ذلك، يصبح هذا الإطار النظري بمثابة الموجه الذي ينير الطريق لمقاربة النص الروائي في أبعاده العميقة، متجاوزا القراءة السطحية للأحداث نحو استنطاق المسكوت عنه في صراع الأفكار والهويات

المبحث الأول: مفهوم الأيديولوجيا و الصراع الأيديولوجي

المطلب الأول تعريف الإيديولوجيا لغة و إصطلاحا:

تُعدّ "الإيديولوجيا" من أبرز المفاهيم إشكاليةً وأكثرها جدلاً في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية على حدٍّ سواء؛ فهي ليست مجرد مصطلح عابر، بل تمثل إطاراً مرجعياً يحكم فهمنا للعلاقات بين الفكر والسلطة، وبين الوعي الفردي والبنية المجتمعية. ونظراً لتداخل هذا المفهوم مع حقول معرفية متعددة كالفلسفة، وعلم الاجتماع، والسياسة، والتاريخ، فقد اكتسب دلالات متباينة ومتشعبة، تتراوح بين كونه علماً محايداً لدراسة الأفكار كما أراده مؤسسوه الأوائل، وبين كونه أداة نقدية لكشف زيف الوعي أو آليةً للهيمنة الطبقية كما طرحه الماركسيون لاحقاً.

هذا التباين في الدلالة لم يكن وليد الصدفة، بل هو نتاج طبيعي للمسار التاريخي المعقد الذي مرّ به المصطلح، وما صاحبه من صراعات فكرية وسياسية أثرت في صياغته وتداوله. وعليه، فإن محاولة الإحاطة بهذا المفهوم تستلزم بالضرورة الوقوف عند جذوره اللغوية الأولى، وتتبع تحولاته الدلالية عبر المعاجم والموسوعات العربية والأجنبية، قبل الغوص في أغواره الاصطلاحية التي شكّلتها مدارس فكرية متنافسة

❖ الأيديولوجيا لغة:

لقد سعى العديد من الباحثين والأدباء لصياغة تحديد دقيق لمصطلح الأيديولوجيا، إلا أن هذه المحاولات أفرزت تباعدا في الرؤى نظرا لارتباط المفهوم بخلفية كل مفكر ونزعته الفكرية، وهو ما جعل التعريفات تتشعب بتعدد السياقات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والفلسفية التي تكتنفها. ويلاحظ في هذا الصدد أن العناية الجادة بهذا المصطلح من الناحية الإشكالية لم تتبلور إلا مع نهايات القرن التاسع عشر وهو ما أكده "ريجيس دوبريه" حين أشار إلى أن لأيديولوجيا ظلت غائبة عن التناول في المعاجم والموسوعات الغربية بمفهومها المعرفي الرصين لفترة طويلة، حيث استبدلت

بمفاهيم طرحها خصوم الأيديولوجيا من أمثال (شاتوبريان وفكتور كوزان) لتوصيف هذا المصطلح؛ وينطبق هذا الغياب على مراجع كبرى كالموسوعة الكبرى عام 1977، ومعجم الأكاديمية الفرنسية في نسخته الثانية لعام 1932، وكذا قاموس لاروس للقرن العشرين الصادر سنة 1933.

أما فيما يخص قاموس لالاند الفلسفي في طبعته السادسة لعام 1950، فقد تم إدراج التوصيف الماركسي فيه لأول مرة ضمن ملاحظة هامشية في منتهى المقال، بينما تأخر ظهور المصطلح في الموسوعة البريطانية حتى نسخة عام 1964، وفي موسوعة تشامبر حتى عام 1955[1]

ومن منظور المعاجم العربية الحديثة، قدم "منير البعلبكي" في قاموسه "المورد" عام 2004[2] رؤية بانورامية للمصطلح، حيث اعتبر الأيديولوجيا بمثابة وضع للنظريات سواء كانت خيالية حالمة أو عملية واقعية، فهي تمثل منظومة من المفاهيم التي تعالج شؤون الحياة والثقافة الإنسانية، أو هي نمط التفكير الذي يميز فرداً أو بيئة ثقافية معينة، وصولاً إلى كونها مجموعة من الغايات والنظريات المتكاملة التي تؤطر العمل السياسي والاجتماعي والمذهبي؛ وبذلك استطاع البعلبكي أن يقدم تعريفاً جامعاً يستوعب الأبعاد السلبية والإيجابية، والثقافية والفلسفية للمصطلح.

وفيما يخص "موسوعة لالاند الفلسفية"، فقد أكدت على أن مصطلح الإيديولوجيا هو ابتكار أصيل للفيلسوف "دستوت دي تراسي"، حيث يُعرّف بوصفه العلم الذي يتخذ من دراسة الأفكار موضوعاً له (بالمعنى الشامل لظواهر الوعي)، مع البحث في خصائصها والقوانين الحاكمة لها وعلاقتها بالرموز والعلامات التي تعبر عن أصلها.

وفي مقابل هذا المفهوم العلمي، تشير الموسوعة إلى وجود منحى آخر "مبتذل" للمصطلح، يصور الإيديولوجيا كنمط من التحليل النظري العقيم أو السجال الفكري المجرد الذي ينفصل عن الواقع العيني والمعطيات الحقيقية[3]

1 ريجيس دوبريه: نقد العقل السياسي، تر عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 82.

2 منير البعلبكي: المورد، قاموس عربي-إنجليزي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط، 08، 2004، ص: 447

[3]أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد(02)h-k ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 01، 2001، ص: 611

وبناءً على هذا الطرح، فإن الموسوعة توفق بين الرؤية الأكاديمية الرصينة التي أرساها "دي تراسي" وبين البعد القدحي أو السلبي الذي ألحقه "نابليون بونابرت" بالمصطلح. وختاماً لما سبق، يمكن استخلاص أن معظم المعاجم والموسوعات قد دارت في فلك التحديد الذي وضعه "دي تراسي" كمؤسس لهذا العلم، مع بقائها منفتحة على التضمينات السلبية والتهكمية التي صاغها "بونابرت" لاحقاً، مما جعل المصطلح يتأرجح تاريخياً بين كونه أداة معرفية لتحليل الوعي وبين كونه تهمة فكرية تعني الانغلاق عن الواقع

❖ الإيديولوجيا إصطلاحا:

يذهب طيف واسع من الباحثين في حقل علم الاجتماع إلى أن بزوغ مصطلح الإيديولوجيا في فضاء التداول الفكري العالمي يعود إلى أواخر القرن الثامن عشر، وتحديداً مع الفيلسوف الفرنسي "ديستوت دي تراسي" (Destutt de tracy)[1]؛ حيث كان يرمي من خلال هذا الاجتراح اللفظي إلى إرساء علم يعنى بدراسة الظواهر الذهنية أو ما يعرف بـ "علم حالات الوعي".

وقد أراد "دي تراسي" لهذا المصطلح أن يكون ركيزة لعلم تجريبي ومنهجي يتقصى الحقائق الفكرية بناءً على ضوابط وقوانين علمية صارمة، بعيداً عن التأويلات الميتافيزيقية أو الانسياق وراء نزعات الخيال والغيبية، وبمعزل عن الاتكاء على الموروثات العقائدية أو الأساطير التقليدية التي كانت سائدة، وذلك سعياً منه لإضفاء طابع العقلانية والوضوح على عملية تشكل الأفكار الإنسانية. كما تؤكد رؤية "دي تراسي" على أن مفهوم الإيديولوجيا يهدف بالأساس إلى إقصاء كل ما هو مرتاب فيه أو مجهول، بحيث لا يسمح بنشوء أي تصورات ذهنية مغلوطة أو مشوشة لدى الفرد[2] وتعكس هذه المقاربة رغبة "دي تراسي" في إخضاع الأفكار للمنطق الواقعية والبحث العلمي بعيداً عن الغيبيات، وهو ما يفسر تأثره العميق بأطروحات الفيلسوف "كوندياك" الذي يرتكز مذهبه على إرجاع كافة أشكال

[1] نظر: ريمون بودرون، فرنسوا بوتريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر ط02، 1986، ص: 84

[2] عمر عيلان: الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي – دراسة سوسيوبنائية لروايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، ط 01، 2001، ص: 16

الإدراك والمعرفة إلى منطلقات حسية؛ ومن هذا المنطلق، صاغ "دي تراسي" مشروعه الفكري الضخم في أربعة مجلدات تحت عنوان "عناصر الإيديولوجيا" (Éléments idéologie) عام 1825[1]

تتعدد المقاربات المعجمية التي حاولت الإحاطة بمفهوم الأيديولوجيا، حيث ذهب كل من "المنجد الأبجدي" (1976)[2] وقاموس "لاروس الكبير (La grande larousse) "الصادر عام 1986[3] إلى اعتبار كلمة إيديولوجيا (Idéologie) تعبيراً عن الفن المختص بالبحث في التصورات والأفكار، أو العلم الذي يتخذ من دراسة الأفكار موضوعاً رئيساً له، وهو الطرح الذي ينسجم مع المنظور التأسيسي الذي وضعه "دي تراسي."

وفي سياق متصل، أورد قاموس اللغة الفرنسية لعام 1999[4] تعريفاً يربط الأيديولوجيا بالبناء القيمي للمجتمع، واصفاً إياها بأنها جملة من الآراء والأفكار والمعتقدات التي تميز حقبة زمنية معينة أو مجتمعاً أو جماعة بشرية محددة.

أما قاموس "روبر الصغير (Le petit robert) "الصادر سنة 1990[5]، فقد توسع في هذا الطرح ليجمع بين العلم والممارسة، مشيراً إلى أنها علم موضوعه دراسة الأفكار، وفي الوقت ذاته هي تحليلات ونقاشات قد تكتنفها ضبابية أو فراغ فكري، محاولاً بذلك التوفيق بين المفهوم العلمي الذي صاغه "دي تراسي" والمنحى السلبي الذي أضافه "نابليون" على المصطلح.

وفي ذات السياق المعجمي، عرف قاموس "الكامل الكبير"[6] الأيديولوجيا بأنها علم الأفكار أو مذهب فكري، بمعنى أنها تمثل النسق الذي يتبناه الفرد أو الجماعة من مبادئ وتصورات تشكل جوهر "أيديولوجيته."

---

[1] رمضان الصباغ: الفن والإيديولوجيا، دار الوفاء، مصر، الإسكندرية، ط 01، 2005، ص: 10

[2] المنجد الأبجدي: دار المشرق، لبنان، بيروت، ط05، 1976، ص: 18.

[3] Louis guibbert, rené lagane: grand larousse de langue français, seail, paris, 1986, p: 2455.

[4] Dictionnaire du français, dictionnaires robert, paris 1999, p: 510

[5] Le petit robert: dictionnaires le robert, 1990, p: 957

[6] الكامل الكبير: قاموس اللغة الفرنسية الكلاسيكية والحديثة والمعاصرة، فرنسي–عربي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ص: 60

بناءً على ذلك، مثل هذا الاتجاه العلمي الصـــارم قطعية معرفية مع الأنماط الفكرية التقليدية التي كانت تهيمن عليها الكنيســـة، وتجاوز ذلك إلى محاولة إحداث تغييرات جوهرية في البنية الاجتماعية الفرنسية، عبر الدعوة إلى إصلاحات جذرية في المؤسسات التعليمية والتربوية. إلا أن هذه التطلعات الإصلاحية سرعان ما واجهت مقاومة شديدة من قبل السلطة السياسية، حيث شن "نابليون بونابرت" هجوماً حاداً على الإيديولوجيا، مانحاً إياها دلالة تحقيرية حينما تقاطعت أفكار "الأيديولوجيين" مع مصـالحه السـياسـية، خاصـة مع رغبة "دي تراسـي" ورفاقه في تغيير المناهج الدراسية وبرامج العلوم الأخلاقية والسياسية في المعاهد الفرنسية[1].

وقد تجلى استهجان "نابليون" في اتهامه للأيديولوجيين بتضليل المجتمع، واصفاً إياهم بأنهم فئة من الحالمين الغارقين في الأوهام والخيال والمنفصـــلين تماماً عن معطيات الواقع، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك عبر السخرية منهم واضطهادهم، مطبقاً عليهم لقب "أصحاب النظريات الوهمية." [2]

ونتيجة لهذا الصـراع، تراجعت القيمة العلمية للمصـطلح ليترتب بمفاهيم الازدراء والسـطحية، وأصبح منذ ذلك الحين يشير في الأدبيات السياسية إلى كل ما هو مثالي ومجافٍ للواقع. وعلى الرغم من الصراعات التي أحاطت بالمصطلح، إلا أن الحقيقة الجلية تكمن في أن "دي تراسي" قد دفع بقوة نحو ضـرورة إخضـاع الأفكار لمنهج اسـتقصـائي علمي وواضـح المعالم، بعيداً عن التجريدات الميتافيزيقية؛ وهو الأمر الذي منح "الإيديولوجيا" حضوراً راسخاً في المتن النظري، حيث قدمها علماء الاجتماع بوصفها رؤية شاملة تؤطر نمط الحياة والمعتقدات وتساهم في هيكل المجتمعات وبناءها. وفي هذا السـياق، يُعد "كارل ماركس" أول من اسـتثمر مصـطلح الإيديولوجيا في حقل علم اجتماع، وذلك من خلال ربطه الوثيق بين نشأة الأفكار وسياق الحياة الاجتماعية المادي.

مصطلح الإيديولوجيا في حقل علم الاجتماع[3]، وذلك من خلال ربطه الوثيق بين نشأة الأفكار وسياق الحياة الاجتماعية المادي.

[1] **عمر عيلان:** الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي – دراسة سوسيوبنائية لروايات عبد الحميد بن هدوقة، ص: 12

[2] المرجع نفسه: الصفحة نفسها

[3] فريدريك معتوق: تطور علم اجتماع المعرفة، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط 01، 1982، ص: 102

ويرى "ماركس" في أطروحاته أن الإيديولوجيا تمثل انعكاســـاً مقلوباً للواقع، فهي بنية ذهنية مشوهة ومجزئة تتصادم مع الوعي الإنساني الحقيقي[1]؛ وبناءً على ذلك، تصبح الإيديولوجيا منظومة فكرية تعيد إنتاج بنية النظام الاجتماعي بطريقة مغلوطة.

كما عُرفت في هذا الإطار بأنها "جملة الآراء والمعتقدات الشـــائعة في مجتمع ما دون اعتداد بالواقع الاقتصادي[2]."

ومن منظور ماركســـي خالص، ترتبط الإيديولوجيا بالطبقات البرجوازية التي تســـعى لفرض تصوراتها وتقديمها كنموذج أمثل وأفضل، حتى وإن جانب الصواب؛ فالتنظير الإيديولوجي من وجهة نظر "ماركس" ليس سوى وسيلة لتبرير هيمنة الطبقة المسيطرة وآلية تستخدمها الرأسمالية لتحسين مصالحها الطبقية ضد أي تغيير محتمل[3].

وتؤدي هذه الآلية إلى جعل الطبقات التي تفتقر لوســـائل الإنتاج تتبنى إيديولوجيا الطبقة المهيمنة وتعتمد تفاصيل حياتها اليومية بشكل آلي، دون وعي فعلي بحقيقة وضعها. ويستخلص مما تقدم أن المفهوم الماركســي للإيديولوجيا يختزلها في كونها "وعياً زائفا"، ومجرد تصــورات ذهنية واهمة تتعارض مع حقيقة الواقع الموضوعي.

المطلب الثاني: الصراع الإيديولوجي وأبعاده الفكرية والسياسية

يُعتبر الصـراع الإيديولوجي من أكثر المفاهيم إشكالية في الفكر النقدي والسـياسـي المعاصـر، كونه يمثل الجوهر الحركي للتفاعلات الإنســانية التي لا تكتفي بالاختلاف السـطحي، بل تذهب نحو التصـــادم بين أنســـاق معرفية متكاملة تســـعى كل منها لامتلاك الحقيقة وتأطير الواقع وفق منظورها الخاص، حيث إن هذا الصراع في حقيقته هو معركة حول "المعنى" وأحقية التمثيل.

إذ تتحول فيه الأفكار من مجرد تصـورات ذهنية مجردة إلى أدوات للمغالبة والسـلطة. ومن هذا المنطلق، فإن البعد الفكري لهذا الصراع يتجلى في محاولة كل منظومة إيديولوجية لتقديم رؤية شمولية

[1] عمر عيلان: الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي – دراسة سوسيوبنائية لروايات عبد الحميد بن هدوقة

[2] مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص: 70

[3] أمين حافظ السعدني: أزمة الإيديولوجيات السياسية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط 01، 2014، ص: 19

للعالم والكون، وهو ما يفرض بالضرورة نوعاً من "الاستبعاد المتبادل" بين الأنساق الفكرية المتعارضة، فكل إيديولوجيا ترى في ذاتها اليقين وفي الآخر "الوعي الزائف" الذي يجب تفكيكه أو إقصاؤه، وهذا ما يجعل الصراع الفكري يبدأ من اللغة ومن محاولة احتكار دلالات المصطلحات الكبرى، لتصبح الرواية في هذا السياق هي المختبر الفني الذي تتجسد فيه هذه الصراعات عبر شخصيات تحمل على عاتقها تمثيل هذه الأنساق المتصادمة.

إن تعمّقنا في الأبعاد الفكرية لهذا الصـــراع يحيلنا إلى جدلية "الإيديولوجيا واليوطوبيا" التي صاغها كارل مانهايم، حيث يرى أن الصراع الفكري يمثل توتراً دائماً بين قوى محافظة تسعى لتثبيت الوضع الراهن عبر خطاب تبريري، وقوى يوتوبية تسعى لتقويض هذا الواقع وبناء عالم بديل، وهو ما يخلق فضاءً من الصدام المعرفي الذي لا ينتهي بانتصار طرف على آخر بقدر ما ينتهي بتشكيل وعي جمعي متجدد يتغذى على هذا التناقض المستمر.

وفي هذا الإطار، يكتسب الصراع الإيديولوجي بعداً حوارياً بامتياز، فالأفكار لا تتصادم في فراغ، بل هي دائماً في حالة اشتباك مع خطابات سابقة أو معاصرة لها، مما يجعل من النص الروائي فضاءً لتعدد الأصوات (البوليفونية) التي تعكس تباين المرجعيات الثقافية واختلاف المواقع الطبقية، حيث يتحول الصراع من مستوى التصادم المادي المباشر إلى مستويات رمزية ولغوية تعبر عن التمزقات العميقة في الهوية الإنسانية، خاصة في المجتمعات التي تعاني من أزمات وجودية وتاريخية تجعل من الفكر وسيلة للدفاع عن الذات في مواجهة الآخر المهيمن.

أما بالانتقال إلى البعد السياسي للصراع الإيديولوجي، فإننا نجد أنفسنا أمام عملية تحويل الأفكار إلى ممارسات سلطوية وأجهزة للهمنة، إذ لا يمكن فصل الإيديولوجيا عن المؤسسات التي ترعاها وتسعى لفرضها على المجتمع كبديهيات لا تقبل المسألة، وهنا يبرز دور "أجهزة الدولة الإيديولوجية" التي تعمل على إعادة إنتاج الصراع السياسي في قوالب تربوية وثقافية وإعلامية تخدم الطبقة المسيطرة[1].

[1] **عز الدين اسماعيل:** الأدب و فنونه، دراسة و نقد، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 2004م، ص:23

فالصراع السياسي في جوهره هو صراع حول "الهيمنة الثقافية" والقدرة على توجيه العقل الجمعي نحو تقبل سلطة معينة بوصفها التجسيد الوحيد للمصلحة العامة، وهذا ما يجعل من الإيديولوجيا أداة للتعبئة السياسية تستغل التاريخ والذاكرة لإذكاء الصراع مع الآخر، وتحويل الانتماءات الفكرية إلى ولاءات سياسية صلبة قادرة على تغيير موازين القوى على الأرض.

وبناءً على ذلك، فإن السياسة تصبح هي الميدان الإجرائي الذي تترجم فيه التصورات الفكرية إلى قرارات ومواقف مصيرية، مما يجعل الصراع الإيديولوجي محركاً للتاريخ وليس مجرد ترف فكري. ويزداد البعد السياسي تعقيداً عندما يرتبط بقضايا الهوية الوطنية والذاكرة المشتركة، حيث تصبح الإيديولوجيا هي الإطار الذي يحدد من ينتمي لـــــ "نحن" ومن يمثل "الآخر" الغريب أو العدو، وهو صـــراع يظهر بوضـــوح في الروايات التي تعالج فترات التحول التاريخي الكبرى أو حالات التعايش الهشة بين المكونات الثقافية المختلفة[1].

إن السياسي هنا يستخدم الإيديولوجيا لتبرير الإقصاء أو لفرض الوحدة القسرية، مما يحول الفضاء الاجتماعي إلى ساحة مواجهة مفتوحة بين رؤى سياسية متناقضة تتصارع على شرعية تمثيل التاريخ وقيادة المستقبل، وهذا التداخل العميق بين الفكري والسياسي هو ما يمنح الصراع الإيديولوجي طابعه الشمولي، إذ لا يمكن فهم موقف سياسي دون العودة إلى جذوره الإيديولوجية، كما لا يمكن تقييم فكرة إيديولوجية دون النظر إلى مآلاتها السياسية في الواقع العملي، وهو ما يجعل هذا المطلب ركيزة أساسية لفهم التحولات التي يطرحها المتن الروائي المدروس في فصوله التطبيقية.

المطلب الثالث: تمثّلات الإيديولوجيا في الخطاب الأدبي

تعتبر إشكالية العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا من الركائز الأساسية لفهم الإنتاجات الأدبية عبر العصور المختلفة؛ إذ يقود الاطلاع على مختلف هذه الإنتاجات إلى التعرف على قضايا الإنسان في حقبه التاريخية المتعددة، وذلك انطلاقاً من كون الأدب يستمد مادته الجوهرية من الواقع العيني، فالأدب في أصـــله «تعبير عن المجتمع»[2]، وهو يمثل ظاهرة إنســـانية تعكس التاريخ والمرحلة التي

[1] **السعيد عموري:** الكتابة الإيديولوجية في الرواية العربية المعاصرة، دراسة نقدية لإيديولوجية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم الأدب الحديثة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013/2012، ص:106

[2] **إبراهيم عباس:** الرواية المغاربية–تشكيل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط01، 2005، ص:48

أنتجت فيها كمرآة صـــافية. ومن هذا المنطلق، يتشـــكل الأدب والزمن والمجتمع في وحدة متناقضـــة تتمحور حول العلاقة الموضـــوعية للأدب بالإيديولوجيا، حيث تبرز الأخيرة كمتكا أســـاســـي للإنتاج الأدبي، فهي عنصر تشكيل من جهة، ونتيجة يقدمها النص الأدبي من جهة أخرى.

وبناءً على ذلك، نجد أنفســـنا أمام علاقة تأثير وتأثير متبادلة، وهو المنحى الذي يتبناه الفكر الماركسي؛ إذ يرى "لوسيان غولدمان" في هذا السياق أن «الأدب هو شكل إيديولوجي، والإيديولوجيا هي البنية الفوقية للنســـق الفكري والوعي الاجتماعي»، وهي تعبير عن بيئة محددة بعلاقات معينة، مما يجعل الأدب شكلاً تابعاً لوجود سابق هو وجود الإيديولوجيات.

إن هذا التمثّل الإيديولوجي في الأدب يعني أن الإبداع الأدبي هو تعبير عن أفكار المبدع التي استقاها من مجتمعه، مما يجعله إنتاجاً إيديولوجياً بامتياز؛ وفي هذا الصدد يؤكد "عمار بلحسن:" هذا الارتباط بقوله: «فالأدب إنتاج إيديولوجي ذو علاقة باللغة وبمختلف أشكال استعمالها فهو إنتاج مع الإيديولوجيا، ومع التاريخ، والتشـــكيلات الاجتماعية، وتاريخ الإنتاج الأدبي وتطوير أدواته وتقنياته الأساسية ومواد عمله»[1]

وبناءً عليه، فإن تمثّلات الإيديولوجيا تتجلى بوضوح من خلال الأجناس الأدبية المختلفة، حيث يستخدم الكاتب النص الأدبي ليعبّر عن قضية أو موضوع معين، مما يجعل الأدب في نهاية المطاف شـــكلاً من أشـــكال الإيديولوجيا أو خطاباً من خطاباتها المتعددة، وهو ما يعزز قدرة الأدب على أن يكون قوة فاعلة في تشكيل الوعي الاجتماعي وتوجيهه.

وعند العودة إلى جذور هذا المفهوم وكيفية تمثّله في الفكر العربي، نجد أن الناقد "عبد الله العروي" قد قدم مقاربة نقدية هامة في كتابه (مفهوم الإيديولوجيا)، حيث حاول ضـــبط الاســـتعمالات المصطلحية عبر اقتراح تعريب "الإيديولوجيا" بمفردة "أدلجة". ويرى العروي أن الكلمتين تشكلان مفهماً واحداً يعبر عن: «منظومة كلامية سجالية تحاول أن تحقق بواسطتها قيمة ما باستعمال السلطة داخل مجتمع معين»[2]

[1] **عبد الله العروي:** مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط07، 2003، ص: 14

[2] **عمار بلحسن:** الأدب و الإيديولوجيا في روايات محمد ساري، ص: 23

وبناءً على هذا التصور، تظهر الأيديولوجيا كنسق فكري يتجسد في شكل منظومة واعية تتبناها طبقة اجتماعية تمتلك سـلطة داخل المجتمع، وذلك بهدف تحقيق مجموعة من القيم والغايات التي تخدم أهداف تلك الطبقة. إن هذا التمثّل "السجالي" يجد في الخطاب الأدبي فضاءً رحباً للبروز، حيث يتحول النص من مجرد سرد جمالي إلى وسيلة للصراع الفكري وتثبيت القيم، مما يجعل العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا علاقة وجودية لا يمكن فصلها.

لتعميق الفهم حول الكيفية التي تشتبك بها الإيديولوجيا مع المتن الأدبي، يطرح الباحث "عمار بلحسن" في دراسته الموسومة بـ (الأدب والإيديولوجيا) ثلاث مقاربات جوهرية تفسر هذا التمثل؛ إذ يرى أولاً أن النص الأدبي يمثل عملية "كتابة" منظمة للإيديولوجيا، حيث يمنحها البناء الفني والشكل الجمالي اللازمين لتوليد دلالات ومعانٍ متجددة تتسم بالتميز والخصوصية في كل نص على حدة، مما يجعل كل عمل إبداعي يحمل بصمة تجربته الذاتية ومضمونه المتفرد. وفي المقابل، تبرز الوظيفة الثانية للنص الأدبي في قدرته على "تحويل" الإيديولوجيا وتصويرها فنياً، وهي عملية نقدية بامتياز قد تؤدي إلى كشف وتعرية التوجهات الفكرية للكاتب؛ فهما حاول المبدع إخفاء انحيازاته خلف أثواب وصور شتى، فإن النص يظل قادراً على فضح تلك الانعكاسات الفكرية وجعلها جلية للمتلقي.

وأخيراً، يؤكد الباحث أن العمل الأدبي، رغم كونه يتضمن عناصر معرفية تحاكي الواقع، إلا أنه يظل "انعكاساً عارفاً" وتمثيلاً جمالياً لظواهر المجتمع، وهو بذلك يفترق عن المعرفة العلمية بصرامتها ومفهومها الدقيق، ليخلق فضاءً معرفياً خاصاً يمزج بين الرؤية الإيديولوجية والتشكيل الفني.

المبحث الثاني: الصراع الإيديولوجي في الرواية العربية والجزائرية

المطلب الأول: تجليات الصراع الإيديولوجي في الرواية العربية المعاصرة

تعد الرواية العربية المعاصرة من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على احتواء التناقضات الاجتماعية والفكرية، فهي لم تعد مجرد حكاية ترفيهية بل استحالت مختبراً نقدياً تتصارع فيه الأيديولوجيات الكبرى التي صاغت الوجدان العربي.

إن تجليات هذا الصـراع تبدأ من البنية العميقة للنص، حيث تتحول الشـخصـيات الروائية من مجرد كائنات ورقية إلى حاملات لمشاريع فكرية متصادمة؛ فنجد أن الرواية العربية انهمكت في رصد التمزّق بين أيديولوجيا "الأنا" الطامحة للتحرر والنهضـــة، وأيديولوجيا "الآخر" الغربي التي حاولت فرض مركزيتها الثقافية والمادية، وهو ما يظهر بوضوح في الروايات التي تناولت لقاء الشرق بالغرب، حيث يغدو البطل مساحة للصراع بين قيم موروثة وقيم وافدة، مما يؤدي غالباً إلى تأزم الهوية وسقوط الأقنعة الأيديولوجية[1].

ويمتد هذا الصراع ليشمل العلاقة المتوترة بين المثقف والسلطة، وهو مظهر أيديولوجي يتجاوز البعد السياسي المباشر ليدخل في صلب الجماليات الروائية؛ إذ تجسد الرواية المعاصرة الصدام بين أيديولوجيا الدولة الشـمولية التي تسـعى لتعليب الوعي وتنميط المجتمع، وبين أيديولوجيا التحرر التي يمثلها المثقف العضـــوي. هذا النوع من الصـــراع يتجلى فنياً من خلال "أدب الســـجون" وتصـــوير الفضـــاءات المغلقة، حيث يصـــبح الجسـد الإنســاني هو الســاحة التي تمارس عليها السـلطة قمعها الأيديولوجي، بينما تمارس الرواية دورها كاداة للمقاومة الفكرية عبر تعرية آليات الاســـتبداد وفضـــح الخطابات الزائفة التي تتستر بها الأنظمة[2].

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يبرز صـــراع داخلي آخر داخل نســـيج المجتمع ذاته، وهو الصدام بين أيديولوجيا "الأصالة" المتمثلة في التيارات المحافظة والسلفية، وأيديولوجيا "المعاصرة" التي تمثلها التيارات العلمانية والحداثية؛ وهذا التجلي يمنح الرواية بعداً سوسيولوجياً عميقاً، إذ تتحول الأسرة الروائية أو الحي الشـــعبي إلى مصـــغر للوطن الذي تتقاســمه أهواء فكرية متناقضـــة، فيغدو الحوار الروائي هنا وسـيلة لتعارض الرؤى الكونية للعالم، ما بين من يرى الخلاص في العودة للماضـــي ومن يراه في القطيعة معه[3].

أما من الناحية البنيوية، فإن الصـــراع الأيديولوجي لا يُقدّم كخطاب تقريري جاف، بل يتســـرب عبر تقنيات "البوليفونية" أو تعدد الأصـــوات، حيث يمنح الروائي المعاصـــر لكل أيديولوجيا صـــوتها

[1] **السيد ياسين**، الأيديولوجيا والخطاب الروائي: دراسة سوسيولوجية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 2010، ص 58

[2] **فيصل دراج**، الرواية وأيديولوجيا السلوك، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 102

[3] **محمود أمين** العالم، وعي الذات والعالم: دراسات في الرواية العربية، دار الآداب، بيروت، 1986، ص 144

الخاص ولغتها المميزة دون تدخل قســـري من المؤلف لفرض رؤية أحادية. هذا التعدد يمنح النص مصداقية فنية ويجعل من الصراع عملية بناء مستمرة داخل ذهن القارئ، حيث تتصادم اللغة الخشبية للمؤسسات مع اللغة الحاملة للمعارضة، وتتداخل الرموز الدينية مع المفاهيم الفلسفية الوجودية.

إن هذا التشـــابك اللغوي والدلالي يعكس حالة اللا اســـتقرار التي يعيشـــها الإنســـان العربي المعاصر، ويؤكد أن الرواية قد انتقلت من مرحلة وصف الواقع إلى مرحلة تفكيك أنساقه الفكرية وإعادة تركيبها في قالب فني يكشـف حجم التناقضـات الكبرى التي تعيق مسـارات التحديث في المجتمعات العربية، مما يجعل من المطلب الأيديولوجي في الرواية ضـــرورة فنية ومنهجية لفهم طبيعة التحولات الراهنة.[1]

إن التعمق في دراسة تجليات الصراع الأيديولوجي يفرض علينا تجاوز القشرة السطحية للأحداث نحو سبر أغوار البنى الذهنية التي تحكم النص الروائي؛ فالرواية العربية المعاصرة لم تكتفِ باستيراد الصـراعات السـياسـية الجاهزة، بل عملت على إعادة إنتاجها فنياً عبر ما يمكن تسـميته بـــ "أدلجة المتخيل". ويظهر ذلك جلياً في كيفية توظيف الرموز التاريخية والأسطورية لإسقاط صراعات الحاضر عليها، حيث يغدو اسـتحضـار الشـخصـيات التراثية وسـيلة أيديولوجية لنقد الراهن أو لتكريس شـرعية فكرية معينة، وهو ما يجسد صراعاً بين مرجعيات تحاول الاستيلاء على "الماضي" لتعزيز موقفها في "الحاضر".[2]

وفي هذا السـياق، تبرز الرواية كفضـاء تتصـادم فيه أيديولوجيا "النخبة" التي تميل إلى الحداثة والتغريب، وأيديولوجيا "الجماهير" المرتبطة بالهوية والمحلية، مما يخلق توتراً دراماياً يغذي الحبكة الروائية ويجعلها تتحرك في مستويات متعددة من التأويل، حيث لا يظل الصراع محصوراً في شخوص الرواية، بل يمتد ليشمل علاقة القارئ بالنص ومدى استجابته للأطروحات الفكرية المتضمنة فيه.[3]

---

[1] **حميد لحميداني**، المتخيل الأيديولوجي في الرواية، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، 1993، ص 72

[2] **جابر عصفور**، الهوية الثقافية والنقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2010، ص 182

[3] **إدوار سعيد**، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 1997، ص 95 (يتصرف حول علاقة الرواية بالتشكيلات الأيديولوجية)

وعلى مستوى آخر، يتجلى الصراع الأيديولوجي من خلال "جدلية الفضاء"، فالمدينة في الرواية العربية المعاصـــرة ليســـت مجرد إطار جغرافي، بل هي تشـــكيل أيديولوجي يمثل قيم الليبرالية أو البيروقراطية أو التفســـخ القيمي، مقابل القرية التي غالباً ما تحمّل بأيديولوجيا النقاء أو المحافظة أو الجهل أحياناً.[1]

هذا الصدام الفضائي يعكس في جوهره صراعاً طبقياً وفكرياً مريراً، حيث تسعى كل أيديولوجيا لفرض هيمنتها على الفضاء العام، مما يؤدي إلى ظهور روايات "الديستوبيا" العربية التي تتنبأ بانهار هذه الأيديولوجيات وتصادمها العنيف الذي يقود إلى خراب المدن وضياع الإنسان.[2]

كما أن الصـــراع يتخذ بعداً لغوياً حاداً يظهر في تقتت الخطاب الروائي بين مســـتويات لغوية متباينة؛ فالسلطة تستخدم لغة يقينية، شمولية، وتعاليه، بينما تلجأ الشخصيات المهمشة أو المعارضة إلى لغة متشظية، ساخرة، أو حتى لغة "الصمت" كفعل احتجاجي أيديولوجي ضد القمع.[3]

إن هذا التشـــابك المعقد يثبت أن الرواية العربية المعاصـــرة قد انتقلت من مرحلة "التوجيه الأيديولوجي" المباشر الذي ساد في بدايات الواقعية الاشتراكية، إلى مرحلة "وعي الأيديولوجي" الذي يفكك الخطابات ويعيد بناءها بشكل نقدي. فالروائي المعاصر أصبح يدرك أن قوة النص لا تكمن في الانتصـــار لأيديولوجيا معينة، بل في القدرة على كشـف زيف "الأيديولوجيات المطلقة" وتبيان تهافتها أمام تعقيدات الواقع الإنســـاني. وهكذا، تتحول الرواية إلى صـــرخة حرية في وجه كل المنظومات المغلقة، وتصـــبح تجليات الصـــراع فيها دليلاً على حيوية الفكر العربي وقدرته على المراجعة والنقد الذاتي من خلال الفن، وهو ما يمنح البحث في هذا المطلب قيمة مضافة في فهم التحولات السوسيو-ثقافية الكبرى التي يمر بها العالم العربي في الألفية الجديدة[4].

---

[1] **شاكر نابلسي**، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994، ص 214

[2] **فيصل دراج**، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999، ص 302

[3] **حميد لحميداني**، بنية النص الروائي: من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص 118

[4] **عبد الله الغذامي**، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص .147

المطلب الثاني: خصوصية الصراع الإيديولوجي في الرواية الجزائرية

تكتسي الرواية الجزائرية بخصوصية منفردة في معالجتها للصراع الأيديولوجي، تنبع من المسار التاريخي المعقد الذي مر به المجتمع الجزائري، بدءاً من ليل الاستعمار الطويل وصولاً إلى أزمات الدولة الوطنية وما تلاها من مخاضات عسيرة.

إن الصراع الأيديولوجي في هذا السياق لم يكن مجرد ترف فكري بين نخب معزولة، بل كان صراعاً وجودياً ارتبط بأسئلة الهوية، السيادة، والمصير، حيث تجلى في البداية كصدام حاد بين أيديولوجيا التحرر الوطني التي صهرت الجميع في بوتقة "الجزائر المسلمة الثائرة"، وبين أيديولوجيا الاستعمار الاستيطاني التي حاولت طمس الشخصية الوطنية وفرض المكان والإنسان، وهذا ما نلمسه في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية واللغة العربية على حد سواء في مرحلة الخمسينيات والستينيات، حيث كان النص الروائي بمثابة "مانيفستو" أيديولوجي يسعى لإثبات الذات في مواجهة نفي الآخر الاستعماري.

ومع بزوغ فجر الاستقلال، انتقل الصراع الأيديولوجي في الرواية الجزائرية من مواجهة الآخر الخارجي إلى مواجهة الذات والخيارات الوطنية الكبرى؛ إذ تجسدت الخصوصية الجزائرية في الصراع حول "الاشتراكية" كخيار سياسي واقتصادي، فبرزت روايات ترصد التصادم بين أيديولوجيا الثورة الزراعية والتحول الاجتماعي وبين القوى المحافظة والتقليدية، وفي هذه المرحلة تحديداً (السبعينيات)، تحولت الرواية إلى ساحة لنقد "الأيديولوجيا الرسمية" للدولة التي بدأت تتباعد عن أحلام الشعب البسيط، وهو ما صاغه الروائيون من خلال تصوير البيروقراطية كأيديولوجيا جديدة بدأت تأكل ثمار الثورة.

ولم يتوقف الأمر عند الصراع السياسي والطبقي، بل برز صراع أيديولوجي عميق حول "اللغة" و"الهوية"، حيث انقسم المتن الروائي الجزائري بين نزعات تبحث عن الجذور في الأيديولوجيا العربية، وأخرى تتبنى الأمازيغية كمكون جوهري، وثالثة تتشبث بالانفتاح الكوني عبر اللغة الفرنسية، مما خلق حالة من "التعددية الأيديولوجية القلقة" التي منحت الرواية الجزائرية زخماً نقدياً لا يضاهى في المنطقة العربية.

أما في العقدين الأخيرين، فقد أخذت خصوصية الصراع الأيديولوجي منعطفاً مأساوياً ومكثفاً مع اندلاع "العشرية السوداء"، حيث واجهت الرواية الجزائرية أشرس تجليات الصراع بين أيديولوجيا "الدولة المدنية" وأيديولوجيا "الإسلام السياسي الراديكالي". لقد أصبحت الرواية هنا فعل شهادة ومقاومة، حيث استبدل الروائيون الصراعات الطبقية القديمة بصراع بين التنوير والظلامية، وبين الحداثة والارتداد نحو الماضي، وتجلى ذلك فنياً في سيطرة مناخات الرعب، الموت، والتشظي النفسي على النصوص الروائية.

إن هذا المسار يؤكد أن الرواية الجزائرية هي "رواية أزمة" بامتياز، ترفض اليقينيات الجاهزة وتعمل على تفكيك الأيديولوجيات التي تحاول اختزال الإنسان الجزائري في قالب واحد، مما جعلها تنتقل من "رواية المعنى" إلى "رواية المساءلة"، حيث يظل الصراع فيها مفتوحاً على أسئلة الديمقراطية، العدالة، والحرية الفردية كأفق أيديولوجي جديد يتجاوز الخطابات القومية والاشتراكية الكلاسيكية.[1]

وتتجلى خصوصية الصراع الأيديولوجي في الرواية الجزائرية أيضاً من خلال "ثنائية المركز والهامش"، حيث رصدت النصوص الروائية التصادم بين أيديولوجيا "المدينة" التي احتكرت السلطة والقرار بعد الاستقلال، وأيديولوجيا "الأرياف والمناطق العميقة" التي شعرت بالإقصاء من ثمار المشروع الوطني. هذا الصراع لم يكن طبقياً فحسب، بل كان صراعاً حول تمثيل الهوية الوطنية الحقيقية، وهو ما دفع الروائيين إلى استخدام تقنيات "الواقعية النقدية" لتفكيك الخطاب الرسمي الذي كان يحاول فرض رؤية أحادية للثورة والمجتمع.[2]

وفي هذا السياق، برزت الرواية الجزائرية كأداة "لإعادة كتابة التاريخ" من وجهة نظر أيديولوجية مغايرة، حيث سعت نصوص كثيرة إلى نبش المسكوت عنه في الذاكرة الجماعية، وتصوير الصراعات الداخلية التي حدثت خلف كواليس الثورة، مما وضع الأيديولوجيا البطولية (الرومانسية الثورية) في مواجهة مباشرة مع الأيديولوجيا الواقعية التي تكشف الانكسارات البشرية والطموحات الشخصية.[3]

---

[1] **محمد مصايف**، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 156

[2] **أحمد منور**، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (نشأته وتطوره)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 92 (بتصرف حول أيديولوجيا الانتماء)

[3] **صالح خرفي**، الجزائر والمنعطفات الحاسمة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 204

علاوة على ذلك، لا يمكن إغفال "أدلجة اللغة" في الرواية الجزائرية بخصوصية لا تكاد نجد لها بهذا الزخم في جغرافيا عربية أخرى؛ فالصـراع بين التعريب والفرنسـة لم يكن صـراعاً لغوياً تقنياً، بل كان صراعاً أيديولوجياً حول المرجعية الحضارية للجزائر.

لقد وجد الروائي الجزائري نفسه مجبراً على اتخاذ موقف أيديولوجي من خلال لغة الكتابة ذاتها، حيث اعتبر البعض الكتابة بالعربية اسـترداداً للسـيادة الثقافية، بينما رأى آخرون لغة قاصـرة عن استيعاب تعقيدات العصر (آنذاك)، في حين استعمل الروائيون بالفرنسية لغة الآخر لتفكيك استعماريته من الداخل.[1]

هذا "التمزق اللغوي" منح الرواية الجزائرية قدرة فائقة على تصوير الشخصية "الانفصامية" التي تعيش صـراع الأيديولوجيات المتعددة في آن واحد، وهو ما انعكس على شـكل الرواية التي أصـبحت تميل نحو التجريب، التشـظي، وتعدد الرواة، كانعكاس مباشـر لتشـظي الواقع الأيديولوجي والسـياسـي الذي عاشته البلاد خاصة في مرحلة الانفتاح الديمقراطي وما أعقبها من أحداث جسيمة.[2]

إن هذا التشـابك بين التاريخي والجمالي يؤكد أن الصـراع الإيديولوجي في الرواية الجزائرية هو "صـراع بناء" في جوهره، حيث سـاهمت هذه النصـوص في خلق وعي مدني يحذر من مخاطر الأيديولوجيات المغلقة (سـواء كانت عرقية، لغوية، أو دينية). لقد نجح الروائي الجزائري في تحويل الرواية من مجرد صدى للأيديولوجيات السائدة إلى "قوة نقدية" قادرة على التنبؤ بالأزمات قبل وقوعها، وهو ما جعل الرواية الجزائرية المعاصـرة تتبوأ مكانة مركزية في مدونة الأدب العالمي، ليس فقط لقوة مواضيعها، بل لقدرتها على صهر الصراع الأيديولوجي في قوالب فنية مبتكرة تجعل من المحلي كونياً، ومن الخاص إنسانياً بامتياز.

المطلب الثالث: السياق التاريخي والسياسي وأثره في تشكل الصراع الروائي

يعد السياق التاريخي والسياسي المحرك الأساسي الذي منح الصراع الروائي في الأدب العربي والجزائري مشـروعيته ووقوده الفكري؛ فالرواية لا تنشـأ في فراغ، بل هي وليدة لحظات تاريخية فارقة

[1] **بشير بويجرة**، الرواية الجزائرية: من التأسيس إلى الحداثة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص .138

[2] **عبد الملك مرتضى**، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 260

أعادت تشكيل الوعي الجمعي. إن تجليات هذا الأثر تبدأ من مرحلة "الاستعمار وما بعد الكولونيالية"، حيث كان الواقع السياسي يفرض صراعاً وجودياً انتقل من الميدان إلى النص، فأصبح الصراع الروائي انعكاساً لصدام الإرادات بين قوى التحرر وقوى الهيمنة.[1]

هذا السياق التاريخي لم يكن مجرد خلفية للأحداث، بل كان "بنية مولدة" للصراعات الدرامية، حيث تحول الفشل السياسي في تحقيق وعود الاستقلال، ونكسة 1967، وانحسار المد القومي، إلى أزمات بنيوية داخل الرواية، تجلت في ظهور البطل المهزوم أو "المثقف المأزوم" الذي يعيش صراعاً بين طموحاته السياسية وواقعه المرير، مما نقل الصراع من طابعه الخارجي (العدو) إلى طابع داخلي (تمزق الذات).[2]

وعلى صعيد التحولات السياسية الكبرى، كان لانتقال الأنظمة العربية من التوجهات الاشتراكية نحو "الانفتاح الاقتصادي" أثر عميق في تشكل صراع روائي جديد يتمحور حول التفاوت الطبقي وسقوط القيم الثورية أمام قيم الاستهلاك والمصلحة الفردية.[3]

في الجزائر تحديداً، نجد أن السياق السياسي اتخذ منحى راديكالياً مع أحداث أكتوبر 1988، التي فجرت صراعاً أيديولوجياً كان كامناً تحت عباءة "الحزب الواحد"، مما سمح ببروز صراعات كانت مغيبة في الرواية الرسمية، مثل صراع الهويات الفرعية، وصراع التوجهات الدينية واللائكية؛ هذا التحول التاريخي جعل الرواية الجزائرية تتخلى عن لغة التبشير بالثورة لتدخل في لغة "المساءلة السياسية" القاسية، حيث أصبح الصراع الروائي يجسد التناقض بين شرعية "الرصاصة" وشرعية "الصندوق"، وبين مرجعية "الثوابت" ومرجعية "التغيير".[4]

إضافة إلى ذلك، فإن "عولمة" السياق السياسي في الألفية الجديدة، وما رافقها من حروب وأزمات وتدخلات دولية، فرضت على الرواية صراعاً من نوع مختلف، يتمثل في صدام القيم الكونية مع الخصوصيات المحلية. إن أثر هذا السياق يتجلى في تحول "الصراع الروائي" من صراع حول

[1] **إدوارد سعيد**، تأملات حول المنفى، ترجمة: ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، ط1، 2004، ص 162 (حول علاقة التاريخ بالسرد)

[2] **فيصل دراج**، ذاكرة المغلوبين: الهزيمة والسياسة في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 84

[3] **جابر عصفور**، الرواية والسياسة: تطور الشكل الروائي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص 210

[4] **آمنة بلعلي**، تحولات الخطاب الروائي الجزائري، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2004، ص 125

السلطة المباشرة إلى صراع حول "المعنى" والوجود في ظل عالم مضطرب؛ إذ لم تعد الرواية تكتفي برصد الحدث السياسي، بل أصبحت تتحلل أثره النفسي والوجودي على الإنسان، محولةً الانكسارات التاريخية إلى طاقة إبداعية تفكك بنية الاستبداد وتعيد بناء الذاكرة[1].

وهكذا، يظل السياق التاريخي والسياسي هو المختبر الحقيقي الذي تستمد منه الرواية قدرتها على البقاء والتجدد، حيث يغدو الصراع الروائي في نهاية المطاف هو "التاريخ الموازي" الذي يحفظ الحقيقة الإنسانية من التزييف السياسي[2].

إن تعمق الصراع الروائي في الأدب العربي والجزائري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بظهور "الدولة الوطنية" ككيان سياسي بديل للاستعمار، حيث شهدت الرواية تحولاً من الصراع مع "الآخر" الأجنبي إلى الصراع مع "الأجهزة" المحلية. هذا السياق أفرز نمطاً من الروايات التي تعالج "خيبة الأمل الأيديولوجية"، حيث اصطدمت الأحلام الطوباوية للعدالة الاجتماعية والوحدة القومية بواقع الانقلابات العسكرية وضيق الهامش الديمقراطي؛ وهذا الأثر السياسي لم ينعكس فقط على المضمون، بل أدى إلى ثورة في "الشكل الروائي" نفسه، حيث لجأ الروائيون إلى استخدام الرمز، والأسطورة، والفانتازيا كوسائل تعبيرية لتمرير الصراع الأيديولوجي في ظل الرقابة السياسية الصارمة[3].

ففي المرحلة التي تلت النكسة (1967)، لم يعد الصراع الروائي يتسم بالوضوح أو اليقين البطولي، بل أصبح صراعاً "تفكيكياً" يعيد النظر في المسلّمات التاريخية، وهو ما يفسر جنوح الرواية نحو تيار الوعي والمنولوج الداخلي لتصوير انكسار الإنسان العربي أمام الهزائم المتلاحقة[4].

أما في السياق الجزائري الخاص، فإن الانتقال من "الشرعية الثورية" إلى "الأزمة الوجودية" خلال التسعينيات، قد منح الصراع الروائي طابعاً "صدامياً" حاداً لم تعهده الرواية من قبل؛ إذ أدى السياق الدموي لتلك الفترة إلى انفجار الخطاب الروائي وتحوله نحو "الشهادة التاريخية" التي تمزج بين الواقع والوثيقة. هذا التحول السياسي جعل من "الذاكرة" ساحة صراع أيديولوجي؛ فمن يملك حق رواية

---

[1] **عبد الملك مرتضى**، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 312

[2] **محمود أمين** العالم، الرواية العربية: بين الواقع والأيديولوجيا، دار المدى، دمشق، 2000، ص .55

[3] **شاكر نابلسي**، الرواية والسياسة: دراسة في نماذج مختارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994، ص 45

[4] **فيصل دراج**، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999، ص 218

التاريخ؟ ومن يملك الحقيقة؟ لقد أصبحت الرواية هنا وسيلة لاستعادة أصوات المهمشين والضحايا الذين غيبتهم الروايات الرسمية، مما جعل الصراع الروائي أداة لتحقيق "العدالة الرمزية[1]."

كما أن الانفتاح على العولمة في العقدين الأخيرين قد أضاف بعداً جديداً يتمثل في صراع "الهجنة الثقافية"، حيث يواجه الفرد الجزائري والعربي صراعاً بين قيم الانتماء القومي والضغوط الثقافية والاقتصادية العالمية، وهو ما تجسد في روايات المهجر أو الروايات التي تتناول قضايا الهجرة واللجوء، حيث يغدو الصراع السياسي هنا صراعاً عابراً للحدود الجغرافية[2].

إن هذا الترابط الوثيق بين المسار التاريخي والمنجز الروائي يؤكد أن الرواية هي "الديوان الجديد" الذي يسجل التحولات العميقة التي تعجز عنها كتب التاريخ الجافة؛ فالسياق السياسي والاجتماعي هو الذي يمنح الصراع الروائي توتره وحيويته، ويجعل من النص الأدبي فضاءً حياً لإعادة صياغة الهوية في مواجهة العواصف التاريخية. وبذلك، تظل الرواية العربية والجزائرية وفية لدورها كمرجع فكري وجمالي، يستمد قوته من قدرته على تمثيل التناقضات الكبرى وصهرها في قالب فني يقاوم النسيان ويؤسس لوعي مستقبلي متحرر من قيود الأيديولوجيات الجامدة[3].

المبحث الثالث: الرواية الجزائرية المعاصرة بين الهوية و التعدد الإيديولوجي

المطلب الأول: إشكالية الهوية و الإنتماء

كما نستذكر إن التعمق في دراسة جدلية الأنا والآخر داخل الفضاء الروائي الجزائري يستوجب منا إدراك أن هذه العلاقة قد تجاوزت في الرواية المعاصرة منطق "الثنائيات الضدية" البسيطة؛ فالآخر لم يعد يمثل فقط العدو الخارجي أو المستعمر التقليدي، بل استحال إلى "مركب حضاري" يتغلغل في صلب الوعي الفردي والجمعي.

[1] **آمنة بلعلي**، المتخيل في الرواية الجزائرية: مقاربة في المرجعيات، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2003، ص 156

[2] **واسيني الأعرج**، الرواية العربية والتحولات الراهنة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 77

[3] **محمد مصايف**، أثر الثورة في الرواية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 112

ويبرز هذا التجلي بوضوح من خلال ما يمكن تسميته بـــ "قلق الانتماء"، حيث نجد الشخصية الروائية الجزائرية تمارس نوعاً من النقد المزدوج؛ فهي في الوقت الذي ترفض فيه الهيمنة الأيديولوجية للآخر الغربي، نجدها تقتبس من أدواته المعرفية لتفكيك واقعها المحلي المأزوم. هذا "التثاقف القسري" أدى إلى ظهور بطل روائي يتأرجح بين الاعتزاز بالهوية الوطنية وبين الانبهار بمنجزات الآخر الحضارية، وهو صراع لا ينتهي بالانتصار لجهة دون أخرى، بل ينتهي بصياغة "هوية قلقة" تبحث دائماً عن التوازن في عالم لا يعترف بالهويات المنغلقة[1].

وفي هذا الســياق، تكتســي "جدلية المكان" أهمية بالغة في تشــكيل صــورة الآخر؛ فالمقهى الباريسي أو الشارع الأوروبي في الرواية الجزائرية ليس مجرد فضاء جغرافي، بل هو فضاء أيديولوجي يمارس سطوته على الأنا الجزائرية المهاجرة، حيث يتصادم حلم الخلاص الفردي مع واقع العنصرية والإقصاء[2].

كما أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، في ســعيها لاســترداد الســيادة الثقافية، جعلت من "اللغة" ســاحة للمواجهة؛ إذ يغدو اســتحضــار المفردات والتراكيب التراثية فعلاً أيديولوجياً يهدف إلى تحصــين الأنا ضــد الاختراق الثقافي، لكنها في ذات الوقت تظل منفتحة على "تقنيات الســرد الغربي" كالحوارية والبوليفونية، مما يؤكد أن الآخر حاضــر في شــكل النص حتى لو غاب عن مضــمونه. إن هذا التناقض الجمالي يعكس عمق الأزمة التي يعيشــها المبدع الجزائري، فهو يواجه آخرًا يســكن في لغته، وتفكيره، وحتى في أحلامه، مما يجعل من عملية الكتابة الروائية رحلة مستمرة لاسترداد "الذات المستلبة".

وعلى صــعيد آخر، يتجلى الصــراع مع "الآخر الداخلي" في الرواية الجزائرية كأشــرس مظاهرات الجدلية في العصــر الحديث؛ فالأنا الجزائرية التي صــقلتها الثورة التحريرية وجدت نفســها في مواجهة "آخر" من بني جلدها يمارس عليها ذات القمع الذي كان يمارســه المســتعمر القديم. هذا الصــراع الأيديولوجي بين السلطة والمثقف، أو بين التيار العلماني والتيار المحافظ، منح الرواية الجزائرية زخماً

[1] **آمنة بلعلي**، المتخيل في الرواية الجزائرية: مقاربة في المرجعيات، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2003، ص 118

[2] **شاكر النابلسي**، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994، ص 245 (بتصرف حول أثر المكان الأوروبي في سرديات المغرب العربي)

نقدياً فريداً؛ حيث لم تعد البطولة تكمن في محاربة الأجنبي، بل في القدرة على كشف زيف "الأيديولوجيات الوطنية" التي تحولت إلى قيود جديدة.[1]

إن الرواية هنا تتحول إلى مرآة تظهر تصدع الأنا الجماعية، وتكشف كيف أن الآخر ليس دائماً هو الغريب عن الدار، بل قد يكون هو الصديق، أو الأخ، أو الحليف السابق الذي أصبح عائقاً أمام تحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية.[2]

إن هذا المسار التحليلي يثبت أن جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية هي عملية "هدم وبناء" مستمرة؛ فهي تهدم الصور النمطية الجاهزة وتبني وعياً نقدياً يتجاوز الشعارات. لقد استطاع الروائي الجزائري، من خلال تشريح هذه الجدلية، أن ينقل الأدب المحلي إلى آفاق الكونية، حيث أصبحت قضية الهوية الجزائرية تلخص مأساة الإنسان المعاصر في بحثه عن الانتماء في عصر العولمة. وبذلك، تظل هذه الجدلية هي المحرك الأساسي للفعل الروائي، وهي التي تمنح النص الجزائري قدرته على المشاكسة الفكرية والتميز الجمالي في خارطة الأدب العربي والعالمي، مؤكدة أن الأنا لا يمكن أن توجد إلا من خلال حوارها النقدي والمستمر مع الآخر، مهما كان هذا الحوار مؤلماً أو مشوباً بالصراع[3].

المطلب الثاني: الرواية كفضاء للصراع الرمزي والفكري

تتجاوز الرواية العربية والجزائرية المعاصرة كونها مجرد وعاء لسرد الحكايات، لتستحيل إلى فضاء حيوي للصراع الرمزي والفكري، حيث يتم في هذا الفضاء "أنسنة" الصراعات المجردة وتحويلها إلى بنى جمالية نابضة. إن الصراع الرمزي في الرواية لا يتجلى عبر المواجهة المادية، بل من خلال تصادم الأنساق الثقافية والقيمية التي تحرك الشخصيات، إذ تصبح الشخصية الروائية "علامة" سيميائية تحمل أيديولوجيا معينة وتصطدم بأخرى. وهذا التدافع الرمزي هو ما يمنح الرواية قدرتها على تفكيك المركزيات الفكرية السائدة، حيث توظف اللغة كأداة للهيمنة تارة، وكأداة للتحرر تارة

[1] **حميد لحميداني**، بنية النص الروائي: من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص 162

[2] **مخلوف عامر**، الرواية والتحول في الجزائر: دراسة في سوسيولوجيا الرواية الجزائرية، منشورات رابطة إبداع، الجزائر، 1997، ص 184

[3] **فيصل دراج**، الرواية وأيديولوجيا السلوك، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 232

أخرى، مما يجعل من النص الروائي ســـاحة "بوليفونية" تتعدد فيها الأصـــوات والمواقف دون تغليب قسري لوجهة نظر المؤلف[1].

إن هذا الفضـــاء الرمزي يتشـكل بوضـوح من خلال اسـتحضـار "التراث" وإعادة قراءته برؤية عصـرية؛ فالروائي لا يسـتدعي الرمز التاريخي لمجرد الاسـتذكار، بل ليوظفه كقوة رمزية في الصـراع الفكري الراهن. ففي الرواية الجزائرية مثلاً، يغدو اسـتحضـار الشـخصـيات الصـوفية أو الرموز الثورية وسيلة لمواجهة الفراغ القيمي أو نقد التوهان الأيديولوجي في الحاضر، حيث يتحول الصراع من صدام حول السلطة إلى صراع حول "المعنى" وحول الأحقية في تمثيل الهوية الوطنية[2].

وفي هذا الإطار، تتحول الاسـتعارات والكنايات الروائية إلى أسـلحة فكرية؛ إذ يتم ترميز المكان (كالبيت، الســـجن، أو المقبرة) ليصـــبح دالاً على وضـــعيات أيديولوجية مأزومة، مما يجعل المتلقي ينخرط في عملية "فك شفرات" الصراع الرمزي الذي يعيد إنتاج الواقع بأسلوب غير مباشر[3].

علاوة على ذلك، يتجلى الصـراع الفكري في الرواية من خلال الصـدام بين "المنظومات القيمية" المتباينة؛ كالصـراع بين العقلانية والتسليم، أو بين الفردانية والنزعة الجماعية المنغلقة. هذا الصـراع لا يُقدّم كأطروحات فلسفية جافة، بل ينسرب عبر مسارات الشـخصـيات ومصـائرها، حيث تصـبح خيبة البطل أو انكساره صرخة فكرية في وجه الأيديولوجيا التي قادته إلى هذا المصير[4].

إن الرواية المعاصـرة تمارس ما يسـميه النقاد "العنف الرمزي" تجاه الأنسـاق الجامدة، من خلال الســـخرية والتهكم وتفتيت اللغة اليقينية، وهو ما يمنح النص الروائي ســـلطة معرفية تتجاوز ســـلطة الخطابات السياسية الرسمية، لأنها تنفذ إلى المسكوت عنه وتكشف التناقضات الكامنة في بنية الفكر الجمعي[5].

---

[1] **ميخائيل باختين**، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 124

[2] **آمنة بلعلي**، المتخيل في الرواية الجزائرية: مقاربة في المرجعيات، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2003، ص .188

[3] **حميد لحميداني**، المتخيل الأيديولوجي في الرواية، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، 1993، ص .45

[4] **فيصل دراج**، الرواية وأيديولوجيا السلوك، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 232

[5] **عبد الله الغذامي**، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص .162

ختاماً، فإن الرواية كفضاء للصراع الرمزي والفكري تعيد صياغة العلاقة بين الإنسان والعالم؛ فهي لا تكتفي بتمثيل الصراع بل تشارك في إنتاجه نقدياً، مما يجعل من القراءة فعلاً فكرياً بامتياز. إن نجاح الروائي الجزائري والعربي في تحويل الصراعات الأيديولوجية إلى "جماليات صراعية" هو ما منح الرواية مكانتها الريادية في المشهد الثقافي، حيث أصبحت الفضاء الوحيد الذي يسمح بتعايش التناقضات ومساءلة المطلقات، مؤكدة أن الصراع الروائي هو في جوهره بحث عن "حقيقة" إنسانية أكثر رحابة وحرية من ضيق القوالب الأيديولوجية الجاهزة.

الفصل الثاني:

تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية " أنا وحايم"

- **المبحث الأول: البناء السردي،و أثره في تشكيل الصراع الإيديولوجي في خطاب المقاومة**
- **المبحث الثاني: الرموز والدلالات المحفزة**
- **المبحث الثالث: مظاهر الصراع الأيديولوجي ودلالاته**

الفصل الثاني: تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية " أنا وحايم"

يُمثل هذا الفصل الحجر الزاوي في الدراسة؛ إذ ينتقل بالبحث من حيز التنظير المجرد للصراع الأيديولوجي إلى فضاء الممارسة التحليلية عبر رصد تجلياته في مدونة البحث: رواية "أنا وحايم" للحبيب السايح. ولا تقتصر أهمية هذه المقاربة على كونها استقصاءً لمضمون الرواية، بل في كونها تتبُّعاً للكيفية التي تحولت بها الأيديولوجيا من فكرة ذهنية صلبة إلى بنية جمالية وسردية مرنة، قادرة على استيعاب التناقضات الفكرية والاجتماعية و تبدأ خطة المعالجة في هذا الفصل من عتبة البناء السردي، انطلاقاً من فرضية منهجة مفادها أن الصراع الأيديولوجي لا يظهر في الحوارات فحسب، بل يسكن في صلب التقنيات السردية؛ حيث يتم استنطاق دور الراوي وتعدد الأصوات (البوليفونية) للكشف عن توازن القوى داخل النص، وكيف ساهم الزمان والمكان في تعميق الهوة بين الأطراف المتصارعة، وتحويل السرد من مجرد ناقل للأحداث إلى مرآة عاكسة للاحتدام الفكري.

وبما أن الشخصية الروائية هي الحامل الرئيس للفكر، ينتقل التحليل لمقاربة التمثلات الأيديولوجية للشخصيات، مع التركيز على ثنائية (الأنا والآخر) المتمثلة في الشخصيتين المركزيتين؛ لسبر أغوار الأيديولوجيا الذاتية في مواجهة الآخر، وتبيان كيف لعبت الشخصيات الثانوية دور الكتل المساندة التي تزيد من حدة الاستقطاب أو تحاول جسر الهوة بينهما.

ختاماً، تتوج الدراسة برصد المظاهر والدلالات الناجمة عن هذا الاحتكاك، من خلال تفكيك الأبعاد الدينية، الثقافية، والسياسية التي أثث بها السايح معمار روايته، وصولاً إلى استخلاص الانعكاسات الفنية والجمالية التي صبغت العمل بصبغتها الخاصة. إن الهدف الأسمى من هذا الفصل هو إثبات أن الصراع

المبحث الأول: البناء السردي،و أثره في تشكيل الصراع الإيديولوجي

يستهدف هذا المبحث تفكيك البناء السردي في الرواية بوصفه المعمار الفني الذي تتشكل داخل أروقته جدلية الصراع، وذلك عبر استنطاق أدوات النص من راوٍ وفضاء وتقنيات سردية للكشف عن حمولاتها الأيديولوجية؛ وهو ما سنفصله من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تمفصلات السرد وبوليفونية الخطاب في رواية "أنا وحايم"

تتأسس بنية السرد في رواية "أنا وحايم" للحبيب السايح على استراتيجية نصية واعية، تتجاوز مجرد الحكي لتصبح أداة لاستنطاق الصراع الأيديولوجي في أعقد تجلياته. حيث اختار السايح أن يبني معمار روايته انطلاقاً من السارد المشارك، وهو سارد لا يكتفي بنقل الأحداث، بل يعيشها بوصفه طرفاً في الصراع، مما يجعل الرؤية السردية تتسم بالتبئير الداخلي الذي يغوص في بواطن الشخصية وهواجسها تجاه الآخر. وينطلق السرد من لحظة استذكارية مشحونة بالدلالات، حيث يقول السارد: «تقدمتُ. وعند الباب الصامت، ذاك الذي رأيت حايم يخرج منه بمحفظته قبل ثمانية وعشرين عاماً كي نتوجه معاً إلى مدرسة جول فيري[1] ، إن هذا الاستهلال يضعنا مباشرة أمام ثنائية الذاكرة والنسيان، حيث يتحول الباب من عتبة مادية إلى رمز أيديولوجي يختزل تاريخاً من التعايش الذي انقطع بفعل التحولات السياسية والاجتماعية.

وتتجلى منهجية السايح في إدارة الأصوات من خلال منح الأشياء والفضاءات قدرة على النطق بأيديولوجيا أصحابها، فيما يعرف بـ البوليفونية أو تعدد الأصوات. فعندما يصف السارد مكتبة حايم، فإنه لا يصف أثاثاً فحسب، بل يستنطق هوية ثقافية كاملة: «غرفة نوم حايم أوسع، بنافذتها المطلة على الشارع، وكانت ذات ستار أبيض مزين بموتيف لطاووس... وطاولة مستطيلة من خشب السنديان لا يزال عليها قلم ريشة من نوع باركر وقارورة حبر أسود... وكتاب التوراة بتجليد بني غامق»[2] . إن هذا التكثيف الوصفي لمقتنيات الآخر (اليهودي) يعكس احترام السارد/الأنا لتلك الهوية

[1] لحبيب السايح، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

وتجذرها في المكان، وهو ما يعمق الصراع لاحقاً عندما يصطدم هذا التعايش السلمي مع أيديولوجيات دخيلة تحاول محو هذا التعدد.

أما الصدام الأيديولوجي الصريح، فيبرز من خلال استحضار السارد لأصوات معادية تمثل الأيديولوجيا الكولونيالية المتطرفة، متمثلة في شخصية ألفونسو باتيست. ويظهر هذا الصراع في أبهى صوره عندما يربط السارد بين مصيره ومصير حاييم في مواجهة الغطرسة الاستعمارية، مستذكراً لحظات الرعب: «سمعنا قريباً منها شخير محرك سيارة راحت كما رأيتها حين التفت التفاتة خاطفة تلتهم خلفنا الطريق المتربة... حنق ألفونسو باتيست وهو يضغط على دواسة السرعة بدرجة إمساكه على المقود متخيلاً –وكان ذلك إحساسي– كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودية»[1] . هنا يتجاوز السرد مجرد الحكاية ليصبح فضاءً لصراع الهويات، حيث يتحد ابن العربي وابن اليهودية في خانة الضحية أمام المستعمر الذي يرفض وجودهما معاً، وهو ما يجسد براعة الحبيب السايح في توظيف التقنيات السردية (كالسرد بضمير المتكلم والاسترجاع الزمني) لإثبات أن الأيديولوجيا ليست مجرد شعارات، بل هي ممارسة يومية تنعكس في نظرات الشخصيات وحركتها داخل النص .[2]

وعليه، فإن تعدد الأصوات في هذا المطلب لا يقتصر على الحوارات المباشرة، بل يمتد ليشمل حوارية الأشياء وحوارية الذاكرة، حيث تتقاطع في النص أصوات الماضي الجميل مع أصوات الحاضر المتصارع، مما يمنح الرواية عمقاً فلسفياً يجعلها مرجعاً أساسياً في دراسة تمثلات الصراع الأيديولوجي في الأدب الجزائري المعاصر

و لا يقف تعدد الأصوات عند حدود الشخوص، بل يمتد ليشمل "حوارية الفضاء" التي صاغها السايح ببراعة لتعكس استلاب الهوية أو التمسك بها؛ فالراوي حين يسترسل في وصف تفاصيل بيت حايم وصور والديه بالعمامة والجوخ، فإنه يمنح الفضاء صوتاً يتجاوز الصمت المادي ليصبح ناطقاً بالانتماء والذاكرة المشتركة التي تكسر حدة الأيديولوجيا الإقصائية، حيث يقول السارد مستذكراً تلك الملامح: «لوحات زيتية. الأولى لموشي والد حايم بعمامة من الجوخ. والثانية لوالدته زُهيرة سِماح، كم

[1] المرجع نفسه، ص 14.

[2] **جيرار جينيت**، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص 182

وجدتها، في نظرتها الطيبة المسالمة وحلي أذنيها ورقبتها وشدة عصابة رأسها، تشبه جدتي ربيعة» [1]. إن هذا الانفتاح الوصفي على فضاء "الآخر" يبرز منطقة وسطى تتقلص فيها الحدة الأيديولوجية لصالح "الإنساني المشترك"، حيث تتحول الروائح والأصوات الملازمة للمكان كـ «رائحة المداد وطقطقة حطب المدفأة ورنة الجرس»[2] إلى مفردات في لغة سردية جامعة تحاول استعادة الهوية الجزائرية في أبعادها التعددية.

علاوة على ذلك، يتجلى تعدد الأصوات في الرواية عبر ما يُعرف بـ التناص واستدعاء الخطابات المرجعية، حيث نجد تداخلاً بين الخطاب السردي والخطاب الديني المتمثل في حضور «كتاب التوراة بتجليد بني غامق»[3] والخطاب التاريخي المرتبط بمرحلة الاستعمار. هذا التعدد يخدم تصوير الوعي الفارقي بين الشخصيات؛ إذ تنقلب اللغة السردية من الهدوء الوجداني إلى لغة توتر ورعب عند استحضار صوت المحرك الذي كان يلتهم الطريق خلف السارد وحايم، في إشارة إلى ملاحقة الأيديولوجيا الكولونيالية لهما: «ولا تزال رعشة الرعب تلك تهزني كلما تذكرت أن سيارة ألفونسو باتيست كانت ستدركنا بين حانة سيغورا والقنطرة التي يمر تحتها الوادي»[4] .

إن هذا التباين الأسلوبي يؤكد وجود صراعات باطنية تعكس تمزق الذات بين حنينها لماضٍ تعددي، وواقع سياسي فرض عليها التخندق في أيديولوجيات متصادمة، مما يجعل من البناء السردي بنية مجهرية تختزل صراع المجتمع بأكمله في مرحلة التحولات الكبرى [5]

المطلب الثاني: الزمن والمكان ودلالاتهما الأيديولوجية

يُعد الزمان والمكان في الخطاب الروائي الحديث عُنصرين بنيويين لا ينفصلان عن الرؤية الفكرية للمؤلف، فهما لا يشكلان مجرد إطار مادي للأحداث، بل هما بنى دلالية محملة بالمواقف الأيديولوجية. حيث تبرز أيديولوجيا المكان من خلال ما يُعرف بطوبوغرافيا النص، فالمكان الروائي

[1] الحبيب السايح، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 13

[2] المرجع نفسه، ص 13

[3] المرجع نفسه، ص 12

[4] المرجع نفسه، ص 14

[5] **يُنظر:** حميد لحمداني، بنية النص الروائي: من منظور النقد الأدبي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1993، ص 74

هو فضاء صراعي بامتياز؛ إذ تعكس الأمكنة المغلقة (كالبيوت ودور العبادة) في الغالب قيم الانتماء والخصوصية الهوياتية، بينما تمثل الأمكنة المفتوحة (كالساحات والحدود) فضاءات للاحتكاك والتصادم مع الآخر[1]. إن عملية توصيف المكان وتأثيثه داخل الرواية ليست وصفاً مجرداً، بل هي محاولة لأدلجة الفضاء؛ فالارتباط بالمكان التاريخي الأصيل يعكس أيديولوجيا التمسك بالأرض والجذور، في حين يمثل المكان الوافد أو الاستعماري أيديولوجيا الهيمنة والاحتواء التي تسعى لمحو هوية المكان الأصلي وإعادة صياغته بما يخدم مصالح القوة المهيمنة[2]

وفي سياق متصل، تبرز أيديولوجيا الزمن من خلال الكيفية التي يعالج بها النص الصيرورة التاريخية؛ فالزمن في الرواية ليس زمناً فيزيائياً خطياً، بل هو زمن نفسي وأيديولوجي يُدار عبر تقنيات الاسترجاع والاستباق. إن الهروب نحو الماضي (الاسترجاع) غالباً ما يحمل دلالة أيديولوجية تتمثل في تقديس الزمن الذهبي أو محاولة البحث عن شرعية مفقودة في الحاضر، وهو ما يجعل الزمن أداة للمقاومة الفكرية ضد واقع مأزوم[3]. أما التسريع أو التبطيء في عرض الأحداث، فيعكس أولويات الأيديولوجيا داخل النص؛ فاللحظات التي يتوقف عندها السرد بالتفصيل هي اللحظات التي تمثل الثقل الفكري للمؤلف، بينما يتم القفز عن الأزمنة التي لا تخدم أطروحة النص.

وكذلك يتجلى الارتباط الوثيق بين الزمان والمكان في مفهوم الكرونوتوب ، الذي صاغه ميخائيل باختين ليعبر عن الوحدة الزمانية المكانية في الأدب. إن هذا المفهوم يثبت أن الأيديولوجيا لا تظهر بوضوح إلا عندما يلتصق الزمن بالمكان؛ فالمكان التاريخي يكتسب قدسيته من الزمن الذي مرّ عليه، والزمن يكتسب ماديته من الفضاء الذي تجسد فيه[4]. وبذلك يصبح الصراع الأيديولوجي صراعاً على امتلاك الزمن (عبر كتابة التاريخ) وامتلاك المكان (عبر السيطرة الجغرافية)، مما يجعل من دراسة هذه الثنائية في المذكرة الأكاديمية كشفاً للمسكوكات الفكرية التي تحاول الرواية تمريرها

[1] **غاستون باشلار**، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1984، ص 45.

[2] **إدوارد سعيد**، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 2014، ص 112.

[3] **جيرار جينيت**، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص 65.

[4] **ميخائيل باختين**، أشكال الزمن والمكان في الرواية، ترجمة: وجيه فانوس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990، ص 14

تحت غطاء الجماليات السردية، حيث تتحول الجغرافيا من أبعاد مساحية إلى مواقف فكرية، ويتحول التاريخ من أرقام صماء إلى صرخات تعبر عن الهوية والوجود

كما تتشكل البنية السردية في رواية "أنا وحايم" انطلاقاً من ثنائية الزمان والمكان بوصفهما وعاءين لتمثيل الصراع الإيديولوجي، فالمكان ليس مجرد حيز جرافي، بل هو فضاء مشحون بالدلالات التي تعكس طبيعة التصادم بين الأنا والآخر. وتبرز أيديولوجيا المكان في الرواية من خلال تقسيم الفضاء إلى أمكنة أليفة تمثل التعايش التاريخي، وأمكنة معادية تمثل الهيمنة الاستعمارية[1]. ويظهر هذا بوضوح في وصف السارد لبيت حايم الذي يمثل حصناً للهوية التعددية، حيث يصف تفاصيله بدقة توحي بالقداسة: «كل شيء، كل الأثاث، ظهر لي في مكانه على الحال التي غادره عليها حايم آخر مرة... وغرفة نوم حايم أوسع، بنافذتها المطلة على الشارع»[2]. إن التمسك بتفاصيل البيت وأثاثه، كطاولة خشب السنديان وقلم الباركر، هو فعل أيديولوجي يرفض المحو ويؤكد تجذر "الآخر" (اليهودي الجزائري) في صلب الهوية الوطنية في مواجهة محاولات الاقتلاع.

وفي المقابل، يتحول المكان المفتوح (الشارع والوادي) إلى فضاء للصراع والاضطهاد الأيديولوجي الذي يمارسه المستعمر، حيث يبرز شارع جيريفيل والقنطرة كأمكنة للمطاردة والرعب. ويجسد السايح هذا الصراع من خلال استحضار صورة "ألفونسو باتيست" وهو يطارد الصديقين بداخل سيارته، مما يحول الجغرافيا من فضاء للعبور إلى فضاء للموت والترهيب: «ولا تزال رعشة الرعب تلك تهزني كلما تذكرت أن سيارة ألفونسو باتيست كانت ستدركنا بين حانة سيغورا والقنطرة التي يمر تحتها الوادي»[3]. هنا يكتسب المكان دلالة أيديولوجية قوامها اللاأمن الذي يفرضه الوجود الاستعماري، حيث تصبح القنطرة والحانة معالم تشهد على انكسار زمن التعايش تحت وطأة العنف.

أما بالنسبة للزمن، فإن الرواية تعتمد الزمن الاسترجاعي كأداة أيديولوجية لاستعادة شرعية الماضي في مواجهة مآزق الحاضر[4]، إن العودة إلى زمن الدراسة في مدرسة "جول فيري" تمثل بحثاً عن الزمن الذهبي الذي لم يكن فيه الفرق بين ابن العربي وابن اليهودية مبرراً للإقصاء. ويظهر هذا

[1] **الحبيب السايح**، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 12.

[2] **الحبيب السايح**، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 12.

[3] **جيرار جينيت**، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص 65.

التوظيف في قوله: «وتحدثنا عن معلمنا السابق، في مدرسة جول فيري، مسيو خايمي سانشيز الذي شيعناه... مستعيدين صرامته وعدالته تجاه التلاميذ بلا تمييز»[1]. إن هذا "التمييز المعدوم" هو القيمة الأيديولوجية التي يحاول النص استعادتها زمنياً لمواجهة زمن الاستعمار الذي يمثله باتيست وزمن الشتات الذي فرضه الاستقلال. وبذلك يصبح الزمان والمكان في الرواية كبنية متلاحمة تعيد صياغة التاريخ والهوية الجزائرية في أبعادها الإنسانية العميقة

المطلب الثالث: التقنيات السردية الموظفة في إبراز الصراع

تُعد التقنيات السردية الأدوات الجمالية والوظيفية التي يتوسل بها الروائي لتحويل الصراع الأيديولوجي من مجرد أفكار ذهنية صلبة إلى بنية نصية حركية؛ فالرواية الحديثة لا تكتفي بنقل المواقف الفكرية عبر الحوار المباشر، بل توظف جملة من الآليات التقنية التي تمنح الصراع بعداً دراماتياً وتأويلياً. وينبثق هذا الجدل السردي أولاً من خلال تعدد اللغات والأساليب داخل النص، فيما يسمى بالبوليفونية التي تكسر أحادية الصوت السلطوي وتسمح بتصادم المرجعيات الفكرية؛ إذ يُشكل الحوار البؤرة الأساسية لتجلي هذا الصراع، متجاوزاً وظيفته التواصلية البسيطة ليصبح أداة للكشف عن الوعي الطبقي والانتماء الثقافي لكل شخصية، حيث تصبح كل لغة أو لهجة داخل الرواية حاملة لأيديولوجيا معينة تسعى لإثبات حضورها ونفي الآخر في آن واحد[2].

وفي هذا السياق، يتآزر الوصف الأيديولوجي مع السرد ليقوم بعملية تأطير فكري للقوى المتصارعة، فالوصف لم يعد حشواً تزيينياً، بل صار تقنية سيميائية بامتياز تمنح الأشياء والفضاءات صوتاً أيديولوجياً ناطقاً؛ إذ يقوم الروائي عبر وصف مقتنيات الشخصية أو هندستها المعمارية بعملية تجميد للحظة السردية لشحنها بدلالات رمزية تبرز الفوارق العميقة بين الذات والآخر. وتعمل هذه التقنية على تحويل المكان الموصوف إلى مرآة تعكس احتدام القيم وتنافر المرجعيات، مما يجعل من التفاصيل المادية وسيلة لإدانة أيديولوجيا مهيمنة أو الانتصار لأخرى مسحوقة[3].

---

[1] الحبيب السايح، أنا وحايم، المرجع نفسه، ص 14

[2] **ميخائيل باختين**، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، 1987، ص 114.

[3] **فيليب هامون**، سيميولوجيا الوصف، ترجمة: إبراهيم الخطيب، دار التكوين، دمشق، ط1، 2005، ص 56.

كما تلعب المفارقات الزمنية، متمثلة في الاســترجاع والاســتباق، دوراً جوهرياً في تعميق أبعاد الصراع؛ فتقنية الاسترجاع تسمح بنبش الجذور التاريخية للخلاف الأيديولوجي وإسقاط الماضي على الحاضــر لتفســير حدة التصــادم الراهن، بينما يعمل الاســتباق على كشــف المآلات الحتمية لتلك الصــراعات، مما يمنح النص نبرة مأســاوية تعيد بناء التاريخ الأيديولوجي للشــخصــيات. وتكتمل هذه المنظومة التقنية عبر المونولوج أو المناجاة الباطنية، التي تخرج الصراع من إطاره الشعاراتي الضيق إلى فضاء التجربة الوجدانية؛ حيث تسمح للقارئ بالاطلاع على تمزق الشخصية بين قناعاتها الذاتية وإكراهات الواقع الخارجي[1]. وبذلك، تذوب هذه التقنيات جميعاً في بوتقة واحدة لتخدم الغرض الأيديولوجي للنص، محولة الرواية إلى معمار جمالي معقد يختزل صـــراعات الواقع وتحولاته الكبرى في قالب سردي رصين

و تتجلى براعة الحبيب الســـايح في توظيف تقنية الحوار وتعدد اللغات كأداة لتعميق الصـــراع الأيديولوجي، حيث لا يكتفي الحوار بنقل المعاني، بل يصبح فضاءً للمكاشفة بين الأنا والآخر حول المصير المشترك؛ ويظهر هذا بوضوح في استحضار السارد لحواره مع حايم عند عتبة البيت، حيث يقول: «"منذ ذلك العمر، لملامحك اللطيفة وسحنتك الهادئة وعينيك الحالمتين، كنت ذا جاذبية خفية، قلت بهمّس. وإذ توهّمته تبسم، أضفت: كنتُ أرى فيك صورة يوسف الصديق»[2]. إن استدعاء الرمز الديني (يوسف الصديق) داخل الحوار يمثل تقنية أيديولوجية تهدف إلى جسر الهوة بين المرجعيتين الإسلامية واليهودية، وتحويل الصراع من التصادم إلى التآخي الإنساني. هذا التعدد في المرجعيات داخل لغة الحوار السردي يكسر أحادية الخطاب الإقصائي، ويجعل من الكلمة المتبادلة بين الصديقين وسيلة لمقاومة التهميش الذي فرضته الأيديولوجيات السياسية المتصارعة في الواقع الخارجي لمجتمع الرواية[3].

ومن جانب آخر، تبرز تقنية المونولوج أو الاستبطان الداخلي كآلية سردية تعكس حدة التوتر الأيديولوجي في أقصى صورها النفسية، خاصة عند استحضار السارد للحظات الخوف من "الآخر"

[1] **جيرار جينيت**، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص 72.

[2] **الحبيب السايح**، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 13.

[3] **ميخائيل باختين**، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، 1987، ص 120.

المستعمر؛ فالسارد لا يكتفي بوصف المطاردة، بل ينقل لنا أثرها في وعيه الباطني: «ولا تزال رعشة الرعب تلك تهزني كلما تذكرت أن سيارة ألفونسو باتيست كانت ستدركنا... متخيلاً –وكان ذلك إحساسي– كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودية»[1]. إن تعبير وكان ذلك إحساسي يحيلنا إلى منطقة اللاشعور حيث يتحد المصير الأيديولوجي للضحايا في مواجهة غطرسة الجلاد. وتعمل هذه التقنية على تحويل "رعشة الرعب" من مجرد رد فعل جسدي عابر إلى موقف أيديولوجي ثابت من الاستعمار وأدواته، مما يثبت أن التقنيات السردية في "أنا وحايم" ليست مجرد زخرف فني، بل هي المحرك الأساسي الذي يعيد تشكيل وعي القارئ بطبيعة الصراعات الهوياتية والسياسية التي ميزت تلك المرحلة

المبحث الثاني: الرموز والدلالات المحفزة

يسعى هذا المبحث إلى استنطاق بنية الشخصيات بوصفها الحامل الرئيس للفكر، مبرزاً كيف تتحول الذوات الروائية إلى نماذج تمثيلية تعكس احتدام الصراع الأيديولوجي بين "الأنا" و"الآخر". ومن خلال تحليل سماتها ومواقفها، يتم الكشف عن طبيعة المرجعيات الثقافية والسياسية التي تحرك مسارات الشخوص وتحدد علاقاتها داخل المتن السردي

المطلب الأول: شخصية "الأنا" وتجسيد الأيديولوجيا الذاتية

تعد شخصية الأنا (السارد/البطل) في رواية أنا وحايم المركز الثقيل الذي تتجمع فيه خيوط الصراع الأيديولوجي؛ إذ لا تظهر هذه الشخصية ككيان حيادي، بل كذات محملة بمرجعيات ثقافية وتاريخية تشكل الأيديولوجيا الذاتية للنص. وتتجلى هذه الأيديولوجيا في المقام الأول عبر ارتباط الأنا بالذاكرة الجماعية وقدرتها على استعادة التاريخ المشترك في مواجهة التشويه؛ فالأنا هنا تمثل صوت الضمير الوطني الذي يرفض القطيعة مع الآخر، ويصر على تأكيد الهوية التعددية للجزائر. ويظهر هذا التجسيد الأيديولوجي في حرص السارد على تفقد أدق تفاصيل بيت صديقه، حيث يتحول هذا الفعل من مجرد زيارة مكانية إلى طقس استرداد للهوية، معبراً عن ذلك بقوله: «تقدمتُ. وعند الباب الصامت، ذاك الذي رأيت حايم يخرج منه بمحفظته قبل ثمانية وعشرين عاماً... وجدته مواربا، فدفعته

[1] **الحبيب السايح**، أنا وحايم، المرجع نفسه، ص 14.

ودخلتُ»[1]. إن فعل الدفع والدخول يمثل رمزية أيديولوجية لاختراق حاجز النسيان وإعادة إحياء الذات المشتركة التي حاول الاستعمار طمس معالمها.

كما تتجسد الأيديولوجيا الذاتية لشخصية الأنا في موقفها من "الآخر"، وهي أيديولوجيا تقوم على التسامح الديني والمساواة الإنسانية التي استقاها من تنشئته الأولى ومدرسته الوطنية. فالأنا لا تنظر إلى حايم كعدو أو غريب، بل كجزء من تكوينها النفسي، ويتبدى ذلك في الحوار الوجداني الذي يجريه السارد مع طيف صديقه، مستخدماً لغة مشحونة بالرموز الدينية التي توحد ولا تفرق: «"منذ ذلك العمر، لملامحك اللطيفة وسحنتك الهادئة وعينيك الحالمتين، كنت ذا جاذبية خفية، قلت بهمّس. وإذ توهّمته تبسم، أضفت: كنتُ أرى فيك صورة يوسف الصديق[2]. إن هذا الإسقاط لرمز ديني مقدس في المخيال الإسلامي على شخصية الآخر اليهودي يعكس ذروة التجسيد الأيديولوجي للذات، حيث تتجاوز الأنا الانغلاق المذهبي نحو فضاء إنساني أرحب، يرى في المشترك الروحي وسيلة لمواجهة الأيديولوجيات الإقصائية الوافدة.

وفي سياق المواجهة، تظهر الأيديولوجيا الذاتية للأنا بوصفها أيديولوجيا مقاومة ترفض الهيمنة الكولونيالية التي يسعى ألفونسو باتيست لفرضها. فالسارد يربط وجوده بوجود الآخر في مواجهة خطر مشترك، مما يحول الأنا من صوت فردي إلى صوت جماعي يعبر عن المظلومية المشتركة؛ ويبرز هذا بوضوح في تحليل السارد لمشاعر الحقد الاستعماري التي استهدفتهما معاً: «حنق ألفونسو باتيست وهو يضغط على دواسة السرعة... متخيلاً –وكان ذلك إحساسي– كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودية»[3]. إن هذه الاستمالة الشعورية والمصيرية تثبت أن أيديولوجيا الأنا في الرواية ليست مجرد تأملات فكرية، بل هي موقف نضالي واعي يسعى لترميم نسيج الهوية الوطنية من خلال الاعتراف بالآخر، وجعل الذاكرة الشخصية مرجعاً لإثبات أحقية الوجود في الأرض والزمان

[1] الحبيب السايح، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص13

[3] المرجع نفسه، ص14

المشـتركين[1] وبذلك، تصـبح شـخصـية الأنا هي الحامل الأيديولوجي لمشـروع الجزائر الجامعة، التي تصهر التباينات العرقية والدينية في بوتقة المواطنة والكرامة الإنسانية

المطلب الثاني: شخصية "حايم" وتمثيل أيديولوجيا الآخر

تعد شـخصـية الآخر في الرواية الأيديولوجية مرآة عاكسـة لمنظومة من القيم والتمثلات التي تتصـادم أو تتسـاوق مع أيديولوجيا الأنا، حيث لا يظهر الآخر ككيان هوياتي مسـتقل فحسـب، بل بوصفه بنية ذهنية يعيد النص صياغتها لخدمة أغراضه الفكرية. وفي سياق هذا المطلب، يتم النظر إلى شخصية حايم بوصفها التجسيد الرمزي لأيديولوجيا الآخر التي تتمتع بخصوصية دينية وثقافية وتاريخية داخل النسيج الوطني، وهي أيديولوجيا تقوم في جوهرها على جدلية الانتماء والاغتراب ، إن تمثيل الآخر في الخطاب الروائي الحديث يتجاوز النمطية التقليدية ليصـبح طرفاً في حوارية كبرى (بمفهوم باختين)، حيث تمنح هذه الشخصية صوتاً يدافع عن كينونته في مواجهة محاولات المحو أو التهميش التي قد تمارسـها الأيديولوجيات القومية أو الاسـتعمارية المهيمنة، مما يجعل وجود "حايم" ضرورة سردية لتكتمل صورة التعددية داخل العمل الأدبي[2].

علاوة على ذلك، يتجلى تمثيل أيديولوجيا الآخر عبر نظام العلامات الذي يحيط بالشـخصـية، حيث تتحول المقتنيات الدينية والرموز الثقافية الملازمة لها إلى شفرات أيديولوجية تعلن عن هوية هذا الآخر وموقعه من الصراع؛ فالآخر هنا لا يُعرف فقط من خلال أفعاله، بل من خلال المناص المحيط به، والذي يكرس فكرة الاختلاف المنتج لا الخلاف الصدامي ، إن تمثيل الآخر بهذه الطريقة يسعى إلى كسر أحادية الوعي وتمرير أيديولوجيا التعايش التي تفترض أن الهوية الوطنية هي كلٌّ مركب من ذوات متعددة المراجع. وبذلك، تصبح شخصية الآخر أداة لنقد الأيديولوجيا الانغلاقية، حيث يتم إبراز الجوانب الإنسانية المشتركة التي تجمعها بالأنا، مما يسهم في تفتيت الصور النمطية المسبقة التي عادة ما تسبغ على الآخر في فترات الصراع والتحولات الكبرى[3].

---

[1] **حميد لحمداني**، بنية النص الروائي: من منظور النقد الأدبي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1993، ص 102.

[2] **إدوارد سعيد**، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 112

[3] حميد لحمداني، بنية النص الروائي: من منظور النقد الأدبي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1993، ص 95

وفي سياق التحليل السوسيولوجي للشخصية الروائية، يبرز الآخر بوصفه شخصية إشكالية بامتياز، تعاني من تمزق بين وفائها لجذورها الأيديولوجية الخاصة وبين رغبتها في الاندماج في الفضاء العام الذي تهيمن عليه أيديولوجيا الأغلبية. إن هذا التمثل يمنح الشخصية عمقاً درامياً، حيث تتحول مواقفها وسلوكياتها إلى محاولات مستمرة لإثبات المواطنة في وجه التشكيك، مما يجعل من أيديولوجيا الآخر في الرواية ليست مجرد عقيدة دينية، بل هي استراتيجية بقاء ومقاومة فكرية. إن الهدف من هذا التمثل هو إحداث نوع من التوازن الأيديولوجي في النص، بحيث لا تطغى رؤية واحدة على الحقيقة الروائية، بل تظل الحقيقة مشاعة بين الأنا والآخر في إطار من التفاعل الجدلي الذي يكشف عن تعقيدات الهوية في ظل الصراعات السياسية والاجتماعية المتلاحقة

و تتجسد أيديولوجيا الآخر في شخصية حايم من خلال جدلية الذاكرة والمكان، حيث يظهر حايم ككيان مرتبط عضوياً بالتراب الوطني رغم خصوصيته العقدية؛ ويبرز هذا التمثل الأيديولوجي في استحضار السارد لنشأتهما المشتركة التي لم تكن تعترف بالفوارق الإقصائية. إن حايم يمثل أيديولوجيا التعايش المتجذر التي ترفض الاستلاب، ويظهر ذلك في وصف السارد للحظة خروجهما معاً من البيت: «وعند الباب الصامت، ذاك الذي رأيت حايم يخرج منه بمحفظته قبل ثمانية وعشرين عاماً كي نتوجه معاً إلى مدرسة جول فيري»[1]، إن هذا الالتصاق بالزمكان الجزائري يجعل من أيديولوجيا حايم أيديولوجيا وطنية بامتياز، حيث تتحول مقتنياته الشخصية التي عاينها السارد في غرفته، ككتاب التوراة الذي يعلوه الغبار وقلم الباركر، إلى علامات سيميائية تشهد على وجودِ آخرَ لم يكن غريباً عن الأرض، بل كان جزءاً من معمارها الثقافي والاجتماعي قبل أن تعصف به رياح التحولات السياسية التي حاولت نزع صفة المواطنة عنه[2]، ومن منظور آخر، يتبدى تمثيل أيديولوجيا الآخر عند حايم في موقف المقاومة الصامتة ضد الأيديولوجيا الكولونيالية التي سعى ألفونسو باتيست لفرضها عبر ممارسة الرعب. ويظهر هذا التلاحم الأيديولوجي بين الأنا والآخر في مشهد المطاردة، حيث لم يكن حايم مجرد رفيق درب، بل كان شريكاً في المصير والتهديد؛ إذ ينقل السارد إحساسه المشترك مع حايم تجاه حنق باتيست وغطرسته: «حنق ألفونسو باتيست وهو يضغط على دواسة

[1] الحبيب السايح، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 11.

[2] فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصية الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الأمان، الرباط، ط1، 1993، ص 85.

السرعة... متخيلاً –وكان ذلك إحساسي– كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودية»[1]، إن اتحاد ابن العربي وابن اليهودية في هذه اللحظة السردية الفارقة هو تجسيد لأيديولوجيا الآخر التي ترفض الانصياع لمنطق فرق تسد الاستعماري. وتتعمق هذه الأيديولوجيا من خلال استحضار صورة موحي (والد حايم) وزهيرة اللذين يمثلان وقار الهوية الجزائرية بملابسهما التقليدية (العمامة والجوخ)، مما يجعل من شخصية حايم تمثيلاً لأيديولوجيا الآخر القريب الذي يتقاسم مع الأنا الذاكرة، والألم، والحلم بوطن يتسع لجميع أبنائه

المطلب الثالث: الشخصيات الثانوية ودورها في تعميق الصراع

لا تُعد الشخصية الثانوية في الرواية الأيديولوجية مجرد عنصر تكميلي لتأثيث الفضاء السردي، بل هي أداة وظيفية تساهم في تثوير الأحداث وتعميق الهوة بين القوى المتصارعة. إن دور هذه الشخصيات يكمن في كونها كتلاً مساندة أو محفزات تمنح الصراع أبعاداً أوسع؛ فهي إما أن تعمل على تعزيز أيديولوجيا الأنا أو تجسيد عنف أيديولوجيا الآخر، مما يحول الصراع من ثنائية فردية ضيقة إلى جبهة عريضة تعكس انقسام المجتمع. ويرى النقاد أن الشخصية الثانوية غالباً ما تمثل النموذج (Type) الذي يختزل موقفاً فكرياً أو سياسياً محدداً، مما يساعد في إبراز التناقضات التي قد لا تظهر بوضوح في الشخصيات المركزية المستغرقة في أزماتها الذاتية[2]و كذلك تلعب الشخصيات الثانوية دوراً جوهرياً في تثبيت المرجعية التاريخية والاجتماعية للصراع، حيث تعمل كقنوات لتمرير الخطابات الأيديولوجية السائدة في بيئة الرواية. فهي التي تشكل الرأي العام داخل النص، وتضغط على الشخصيات المركزية لاتخاذ مواقف حدية، مما يضاعف من وثيرة التوتر السردي. وبذلك، فإن فاعلية هذه الشخصيات تتجاوز حجم حضورها الكمي إلى ثقلها النوعي في خلخلة توازن القوى، حيث تساهم في إخراج الأيديولوجيا من حيز التفكير إلى حيز الفعل والصدام، مما يجعلها ركيزة أساسية في معمار الرواية القائمة على جدلية الهوية والوجود لا تُعد الشخصية الثانوية في الرواية الأيديولوجية مجرد عنصر تكميلي لتأثيث الفضاء السردي، بل هي أداة وظيفية تساهم في تثوير الأحداث وتعميق الهوة بين القوى المتصارعة. إن دور هذه الشخصيات يكمن في كونها كتلاً مساندة أو محفزات تمنح

[1] الحبيب السايح، أنا وحايم، المرجع نفسه، ص 14

[2] يليب هامون، سيميولوجيا الشخصية الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الأمان، الرباط، ط1، 1993، ص 110

الصراع أبعاداً أوسع؛ فهي إما أن تعمل على تعزيز أيديولوجيا الأنا أو تجسيد عنف أيديولوجيا الآخر، مما يحول الصراع من ثنائية فردية ضيقة إلى جبهة عريضة تعكس انقسام المجتمع. ويرى النقاد أن الشخصية الثانوية غالباً ما تمثل النموذج (Type) الذي يختزل موقفاً فكرياً أو سياسياً محدداً، مما يساعد في إبراز التناقضات التي قد لا تظهر بوضوح في الشخصيات المركزية المستغرقة في أزماتها الذاتية[1]و كذلك تلعب الشخصيات الثانوية دوراً جوهرياً في تثبيت المرجعية التاريخية والاجتماعية للصراع، حيث تعمل كقنوات لتمرير الخطابات الأيديولوجية السائدة في بيئة الرواية. فهي التي تشكل الرأي العام داخل النص، وتضغط على الشخصيات المركزية لاتخاذ مواقف حدية، مما يضاعف من وثيرة التوتر السردي. وبذلك، فإن فاعلية هذه الشخصيات تتجاوز حجم حضورها الكمي إلى ثقلها النوعي في خلخلة توازن القوى، حيث تساهم في إخراج الأيديولوجيا من حيز التفكير إلى حيز الفعل والصدام، مما يجعلها ركيزة أساسية في معمار الرواية القائمة على جدلية الهوية والوجود

و تنهض الشخصيات الثانوية في أنا وحاييم بدور المحرك الفعلي للصراع الأيديولوجي، حيث تعمل كقوى دفع تخرج التصادم من حيزه الساكن إلى حيز الفعل الدرامي؛ ويبرز "ألفونسو باتيست" كأهم شخصية ثانوية تجسد أيديولوجيا الآخر الاستعماري في أقصى صورها عدائية. إن حضور باتيست في النص، رغم كونه ثانوياً من حيث المساحة السردية، إلا أنه يمثل الثقل الأيديولوجي المانع للتعايش؛ فهو الذي يطارد الأنا والآخر (ابن العربي وابن اليهودية) بسيارته التي كانت تلتهم الطريق، محاولاً فض الرابطة التاريخية بينهما. ويظهر أثره في تعميق الصراع من خلال رعشة الرعب التي خلفها في وعي السارد وحايم، حيث يقول السارد: «حنق ألفونسو باتيست وهو يضغط على دواسة السرعة... متخيلاً –وكان ذلك إحساسي– كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودية»[2]،إن هذه الشخصية لم توجد لذاتها، بل وجدت لتعميق الفجوة الأيديولوجية وإثبات أن الوجود الاستعماري هو العائق الرئيس أمام استمرار الهوية التعددية للجزائر[3].

[1] **يليب هامون**، سيميولوجيا الشخصية الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الأمان، الرباط، ط1، 1993، ص 110

[2] **الحبيب السايح**، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 14.

[3] **فيليب هامون**، سيميولوجيا الشخصية الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الأمان، الرباط، ط1، 1993، ص 115.

ومن جانب آخر، تبرز شـــخصـــيات ثانوية أخرى مثل موحي وزهيرة (والدين حاييم) لتعميق الصراع في بعده القيمي والاجتماعي، حيث يمثلان الكتلة المساندة لأيديولوجيا التعايش المتجذر. فمن خلال حضورهما في لوحات الذاكرة بالعمامة والجوخ، يُثبت السايح أن الآخر ليس دخيلاً بل هو جزء من معمار المكان وقيم المجتمع التقليدي. ويظهر دور هذه الشـــخصـــيات في إحراج الأيديولوجيا الإقصائية من خلال المقارنة التي يعقدها السارد بين سمات زهيرة سِماح وسمات جدته ربيعة: «كم وجدتها، في نظرتها الطيبة المسالمة وحلي أذنيها ورقبتها وشدة عصابة رأسها، تشبه جدتي ربيعة»[1]، إن هذا التشابه السيميائي في المظهر والوقار يحول الشخصية الثانوية إلى حجة أيديولوجية تدحض مزاعم الغربة والشتات، وتجعل من الصراع في الرواية صراعاً بين أصالة التعدد التي تمثلها العائلات الجزائرية بفرعيها وبين هجانة الاستعمار الذي يمثله باتيست ومن معه

المبحث الثالث: مظاهر الصراع الأيديولوجي ودلالاته

ينصرف التحليل في هذا المبحث إلى تتبع التمظهرات العينية للصراع الأيديولوجي داخل المتن الروائي، بوصفها القنوات الجمالية التي يعبر من خلالها النص عن احتدام الرؤى وتصادم المرجعيات. فالصراع الأيديولوجي لا يظل حبيس التنظير الذهني، بل يتجسد في مظاهر مادية ورمزية تحكم حركة الشـــخوص وعلاقتهم بالفضـــاء والزمن؛ حيث تتشـــكل أولى هذه المظاهر في أبعادها الدينية والثقافية التي تبرز هوية الأنا والآخر، لتتقاطع مع مظاهر الصـــراع التاريخي والســـياســـي التي تعكس موازين القوى وإشكالات الذاكرة الوطنية.

إن الهدف من رصـد هذه التجليات هو النفاذ إلى الدلالات العميقة والانعكاسـات الفكرية والفنية التي يفرزها هذا التصـــادم؛ فالرواية لا تنقل الصـــراع لذاته، بل لتبني رؤية فنية متكاملة تعيد صـــياغة الواقع ومآلاته. ومن هذا المنطلق، سنعمل على تفكيك مظاهر الصراع بدءاً من بنية المعتقد والثقافة، وصـــولاً إلى أبعاد الممارســـة الســـياســـية والتاريخية، وانتهاءً باســـتجلاء القيمة الدلالية والجمالية التي يكتسيها هذا الصراع في مجمل الخطاب الروائي

[1] **الحبيب السايح**، أنا وحايم، المرجع نفسه، ص 13

المطلب الأول: الصراع الديني والثقافي

يُمثل الصراع الديني والثقافي النواة الصلبة التي تتشكل حولها المواقف الأيديولوجية في الرواية، حيث لا يُنظر إلى الدين والثقافة بوصفهما مجرد طقوس أو عادات، بل بوصفهما ترسانة رمزية تُستخدم لإثبات الذات أو نفي الآخر. إن الصراع الديني في جوهره هو صراع حول الشرعية الوجودية وحق التعبير عن الهوية في الفضاء العام؛ إذ تتحول الرموز العقدية إلى علامات سيميائية مشحونة بالصراع، تعكس رغبة كل طرف في حماية حيزه الروحي من الذوبان أو الهيمنة. ويرى النقاد أن هذا النوع من الصراع يشتد في المجتمعات التعددية حين تتدخل السياسة لتوظيف الدين كأداة للفرز الاجتماعي، مما يحول المعتقد من فضاء للتسامح إلى جبهة نضالية تُعرف فيها الشخصية بانتمائها العقدي قبل انتمائها الإنساني[1]. أما الصراع الثقافي، فيتجسد في النماذج الذهنية وأنماط السلوك اليومي، حيث تصبح اللغة، واللباس، والتقاليد، معالم جغرافية فكرية تفصل بين الأنا والآخر، وتجعل من الاختلاف الثقافي مصدراً للتوتر السردي حين يسعى الخطاب المهيمن (الاستعماري غالباً) إلى تنميط الثقافات المحلية ووسمها بالدونية لإحكام السيطرة عليها[2].

وعند إسقاط هذه الرؤية على متن رواية "أنا وحايم"، نجد أن الحبيب السايح قد جعل من الصراع الديني محركاً درامياً يسعى من خلاله إلى خلخلة المفاهيم الإقصائية الجاهزة؛ إذ يبرز هذا الصراع في الرواية لا كصدام بين الإسلام واليهودية، بل كصراع مشترك بينهما ضد أيديولوجيا باتيست التي تمثل التدنيس الاستعماري للفضاء المقدس. ويتجلى هذا التوظيف الأيديولوجي في استحضار السارد لشخصية يوسف الصديق كرمز مشترك يجمع بين الصديقين، حيث يقول السارد: «"منذ ذلك العمر، لملامحك اللطيفة وسحنتك الهادئة وعينيك الحالمتين، كنت ذا جاذبية خفية"، قلت بهمّس. وإذ توهّمته تبسم، أضفت: "كنتُ أرى فيك صورة يوسف الصديق"»[3]. إن هذا الاقتباس يختزل دلالة أيديولوجية عميقة تحاول القفز فوق فوبيا الآخر وتأسيس أيديولوجيا المشترك الروحي؛ فالسارد هنا لا يرى في

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص 124.

[2] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 1997، ص 156.

[3] الحبيب السايح، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 13.

حايم يهودياً غريباً، بل يراه عبر مرجعية دينية إسلامية مقدسة، مما يجعل الدين في النص وسيلة للمقاومة الثقافية ضد محاولات الفصل الطائفي التي يمارسها المستعمر.

أما الصراع الثقافي في الرواية، فيتخذ مظهراً بصرياً وسلوكياً يتجلى في التمسك بأيديولوجيا المظهر التي تعكس الأصالة في مواجهة الهجانة الاستعمارية. ويبرز هذا بوضوح في وصف عائلة حايم التي حافظت على سماتها الثقافية الجزائرية الخالصة، مما حولها إلى مظهر من مظاهر الصراع الصامت ضد التغريب. ويصف السارد هذا التجلي في صورة "زهيرة سِماح" التي تماهت ثقافياً مع الجدة ربيعة: «زهيرة سِماح التي، بوقارها وعمامة رأسها، لم تكن تفارق تلك الغرفة... كم وجدتها، في نظرتها الطيبة المسالمة وحلي أذنيها ورقبتها وشدة عصابة رأسها، تشبه جدتي ربيعة»[1]. إن هذا التشابه الثقافي في اللباس (العمامة، العصابة، الحلي) يمثل فعل مقاومة أيديولوجي يثبت أن الهوية الثقافية للأخر (اليهودي) هي امتداد للهوية الوطنية، وأن الصراع الحقيقي ليس مع الآخر الشريك بل مع الآخر الغازي الذي يمثله ألفونسو باتيست. وبذلك، تكتسب المظاهر الدينية والثقافية في الرواية دلالة نضالية تسعى لترميم الذاكرة الوطنية وإعادة صياغة مفهوم الجزائرية كفضاء يتسع للتعدد ويقوى به في مواجهة محاولات المسخ والتبعية

المطلب الثاني: الصراع التاريخي والسياسي

يُشكل الصراع التاريخي والسياسي في الرواية الميدان الأكثر احتداماً للأيديولوجيات المتصارعة، حيث تتحول الذاكرة التاريخية من مجرد سرد للحوادث الماضية إلى أداة سياسية لصياغة الحاضر وتوجيه المستقبل. إن هذا الصراع ينشأ من محاولة كل طرف فرض روايته الرسمية للتاريخ؛ فبينما يسعى الخطاب المهيمن إلى محو الذاكرة الجماعية للأنا وتزييف الحقائق التاريخية لتبرير سلطته، تعمل الأيديولوجيا المقاومة على استعادة تلك الذاكرة بوصفها فعلاً نضالياً يثبت الحق في الأرض والهوية[2]. أما سياسياً، فإن الصراع يتجلى في بنية القوة والعلاقات التراتبية التي يفرضها النظام القائم، حيث تصبح المواقف السياسية

[1] لمرجع نفسه، ص 13

[2] حميد لحمداني، بنية النص الروائي: من منظور النقد الأدبي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1993، ص 142.

للشخصيات انعكاساً لوعيها بموقعها في خارطة الصراع؛ إذ يتحول الفعل السياسي من الممارسة المباشرة إلى وعي نقدي يرفض الظلم ويسعى لتفكيك أيديولوجيا الاستعلاء التي يمارسها الآخر الغازي[1].

وبالنظر إلى المتن الروائي لأنا وحايم من خلال الوثائق المرفقة، نجد أن الصراع التاريخي يتجسد في محاولة المستعمر (الذي يمثله مسيو ويل وشركاؤه) ممارسة الوصاية التاريخية على عقول الشباب الجزائري، ومحاولة فصلهم عن جذورهم العربية. ويبرز هذا الصراع في حظر الحديث باللغة العربية داخل المؤسسة التعليمية (الثانوية)، حيث يُجبر حايم على التحول إلى اللسان الفرنسي بلا لكنة لتجنب العقاب: «كان حايم سيخبرني أن مسيو ويل حذّره في البداية من أن يسمعه مرة أخرى يتحدث معي باللهجة العربية في أي مكان من الثانوية... ففعل حايم كل مرة من غير هفوة، محوّلاً لسانه فرنسياً بلا لكنة»[2]. إن هذا المنع اللغوي هو في جوهره صراع تاريخي يهدف إلى قطع الصلة بالهوية العربية والإسلامية، ومحاولة غرس أيديولوجيا الفرنسة القسرية كبديل تاريخي وحيد

أما الصراع السياسي، فيتجلى في الرواية عبر رصد التمييز العنصري الذي يمارسه النظام الاستعماري حتى تجاه اليهود الجزائريين الذين يرفضون الاندماج الكامل في مشروعه. ويظهر هذا في تعنيف "مسيو ويل" لحاييم بسبب علاقته بالسارد المسلم، ومحاولته تذكيره بأنه مواطن فرنسي يجب أن يترفع عن مخالطة الأهالي: «أنت حايم بنميمون مواطن فرنسي أعلى من أرسلان حنيفي درجة! فكيف تقبل مصاحبة أنديجيان مثله والحديث إليه بتلك اللهجة كأنه أحد أفراد عائلتك!»[3]. هنا تتجلى الأيديولوجيا السياسية الاستعمارية

[1] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 1997، ص 210.
[2] الحبيب السايح، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 17.
[3] المرجع نفسه، ص 18.

القائمة على مبدأ فرق تسد، حيث يُستخدم القانون السياسي (المواطنة) كأداة لخلق هوة اجتماعية ونفسية بين الشركاء في التاريخ والمكان

كما يبرز الصراع السياسي في الوعي المبكر للشخصيات بمظاهر الظلم الاجتماعي في المدينة، والتي يصفها السارد بأنها محكومة بأيديولوجيا الطبقية الاستعمارية؛ حيث يُمنع الأهالي من أبسط حقوقهم، مثل قطع تذاكر السفر إذا كان هندامهم رثاً: «شاهدتُ أحد الأهالي في شباك المحطة رُفض له أن يقطع تذكرة سفر لأن هندامه رث»[1]،إن هذا المشهد يختزل صراعاً سياسياً عميقاً بين طبقة الموسرين (الأوروبيين والأقدام السوداء) وبين "الأهالي" المسحوقين، وهو ما يغذي الرغبة في التحرر الوطني. وبذلك، تكتسب التفاصيل اليومية في الرواية دلالات سياسية وتاريخية تحول النص من مجرد سيرة ذاتية لصديقين إلى وثيقة إدانة لأيديولوجيا الاستعمار التي حاولت طمس هوية المكان وتفريق أهله بمسميات سياسية وعرقية زائفة

المطلب الثالث: دلالات الصراع الأيديولوجي وانعكاساته الفكرية والفنية

لا يتوقف الصراع الأيديولوجي في الرواية عند حدود التصادم بين القوى والشخصيات، بل يمتد لإنتاج شـــبكة من الدلالات الفكرية والجمالية التي تمنح العمل الأدبي قيمته المعرفية. وتتمثل الدلالة الفكرية لهذا الصراع في كونه وسيلة لتعرية الأنساق المضمرة في المجتمع، حيث يكشف النص عن كيفية تشـــكل الوعي الجمعي في مواجهة الأزمات الكبرى كدلالة المقاومة بالذاكرة أو دلالة الوحدة المصـــيرية[2]. أما الانعكاســـات الفنية، فتتجلى في بنية الخطاب الروائي ذاته؛ إذ يفرض الصـــراع الأيديولوجي لغةً ســـرديةً تتســـم بالتوتر والكثافة الرمزية، وتعدد الأصـــوات (البوليفونية) التي تســـمح بتجاور الرؤى المتناقضـــة داخل فضـــاء فني واحد، مما يحول الرواية من مجرد حكاية إلى رؤية للعالم بصياغة جمالية مبتكرة[3].

[1] المرجع نفسه، ص 21.

[2] **عبد الله الغذامي**، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص 162.

[3] **حميد لحمداني**، بنية النص الروائي: من منظور النقد الأدبي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1993، ص 155

وبالعودة إلى رواية أنا وحاييم، نجد أن الدلالات الفكرية للصـــراع تتلخص في صـــياغة مفهوم جديد للهوية الوطنية يتجاوز الانغلاق العرقي أو الديني. وتبرز هذه الدلالة في إصـــرار الســـارد على استحضار المشترك الإنساني مع حايم في مواجهة الأيديولوجيا الاستعمارية؛ فالصراع هنا يفرز دلالة الأرض كرحم جامع، وهو ما يظهر في تساؤل السارد الوجداني: «ألم نكن، أنا وأنت، من طينة واحدة؟ ألم نكن من تراب واحد؟[1]. إن هذا التســـاؤل يعكس انعكاســـاً فكرياً عميقاً يتمثل في رفض أيديولوجيا التقسيم التي أرادها المستعمر، وتثبيت فكرة أن الصراع الحقيقي هو صراع من أجل الكرامة الإنسانية والتحرر من الوصاية، وهي دلالة تمنح النص بعداً إنسانياً عالمياً يتجاوز السياق المحلي للرواية.

أما الانعكاســات الفنية، فقد تجلت بوضــوح في جمالية الاســترجاع واللجوء إلى الرمزية الدينية والتاريخية كأدوات للتعبير عن حدة الصــراع. لقد انعكس الصــراع الأيديولوجي فنياً في اختيار الســايح للغة مشحونة بالعاطفة والنداء، حيث يتحول حاييم من شخصية غائبة إلى مخاطب حاضر في وجدان الســـارد، مما يمنح الســـرد طابعاً اعترافياً مؤثراً: «يا حايم! لو كنتَ هنا الآن، لو كنتَ ترى ما يفعله الحقد بالقلوب»[2]،كما يظهر الانعكاس الفني في تقنية التضـــاد بين فضـــاءين؛ فضـــاء الذاكرة الجميل (الطفولة المشتركة) وفضاء الواقع القبيح (المطاردة والتمييز)، وهو ما خلق توازناً جمالياً يجعل القارئ ينحاز عاطفياً وفكرياً لأيديولوجيا التعايش. وبذلك، فإن الصراع في الرواية لم يكن مجرد موضوع، بل صـــار بنية فنية ســـاهمت في بناء نص متماســـك يزاوج بين عمق الأطروحة الفكرية ورهافة التشـــكيل الجمالي.

مثّل هذا الفصـــل محطة تحليلية محورية لاســـتجلاء آليات اشـــتغال الأيديولوجيا داخل المتن الروائي لأنا وحاييم، حيث انتقل البحث من رصـد البنى السـوسـيو–سـردية للشـخصـيات إلى تفكيك المظاهر والدلالات التي أفرزها الصـراع الأيديولوجي. وقد توصـلنا من خلال المباحث السـابقة إلى أن الشـخصـية الروائية عند الحبيب السـايح لم تكن مجرد كائن ورقي، بل تحولت إلى حامل أيديولوجي يجسد صراع الهويات والقيم في ظل سياق تاريخي متوتر.

[1] **الحبيب السايح**، أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

ففي المبحثين الأول والثاني، اتضـــح أن الأنا والآخر يشـــكلان قطبي رحى في عملية التمثيل الأيديولوجي؛ إذ تعكس شـخصـية الأنا أيديولوجيا الانتماء والمقاومة، بينما جسـدت شـخصـية حايم أيديولوجيا الآخر القريب الذي يشـــترك مع الأنا في التاريخ والمصـــير، في مقابل أيديولوجيا الآخر الغازي التي مثلتها الشخصيات الثانوية العدائية، مما جعل من بنية الشخصيات فضاءً لتعميق الفجوة بين مشروع التعايش الوطني ومشروع الإقصاء الكولونيالي.

أما في المبحث الثالث، فقد تبيّن أن الصـراع الأيديولوجي يتخذ تمظهرات متعددة؛ دينية وثقافية وتاريخية وسياسية، لا تعمل فقط على تأثيث الواقع الروائي، بل تسعى إلى إنتاج دلالات فكرية عميقة قوامها اســـتعادة الذاكرة وترميم الهوية الوطنية. وقد انعكس هذا الصـــراع فنياً من خلال جماليات الاســـترجاع وتعدد الأصـــوات واللغة الرمزية، مما حوّل الرواية إلى وثيقة فنية تدين خطابات التفرقة وتنتصر للقيم الإنسانية المشتركة.

وبناءً على ما تقدم، نخلص إلى أن الأيديولوجيا في رواية أنا وحايم ليسـت عنصـراً خارجاً عن النص، بل هي بنية فنية وفكرية صـهرت التاريخ في السرد، وجعلت من الصراع مظهراً جمالياً يكشف عن رؤية الكاتب لجزائر متعددة، قادرة على اســـتيعاب تناقضـــاتها في إطار من المواطنة والكرامة الإنسانية.

.

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذه الرحلة البحثية التي تقصينا فيها مظاهر "الصراع الأيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة"، وتتبعنا عبرها آليات اشتغال الأيديولوجيا وتجسداتها الفنية في رواية "أنا وحايم" للحبيب السايح؛ يمكننا استخلاص جملة من النتائج الختامية والتوصيات المعرفية التي تلخص جوهر الطروحات التي انبثقت عن المقاربة النظرية والتطبيقية، وهي كالآتي:

- **بنية الفن والأيديولوجيا:** إن الأيديولوجيا في الرواية الجزائرية المعاصرة لم تعد مجرد عنصر خارجي أو إسقاط خطابي تقريري جاف، بل تحولت إلى بنية فنية وصهر جمالي يسكن في صلب التقنيات السردية وفي معمار النص ومسارات شخوصه، محولة المتخيل الأدبي إلى قوة نقدية تفكك الأنساق المطلقة والخطابات الأحادية الجاهزة.
- **التأرجح المفاهيمي للأيديولوجيا:** كشفت الدراسة النقدية للفصل الأول أن مصطلح الأيديولوجيا ظل يتأرجح تاريخياً في المعاجم والموسوعات الفلسفية بين الطرح العلمي التأسيسي لـ "دي تراسي" كعلم لدراسة الأفكار وحالات الوعي، وبين البعد السلبي أو القدحي الذي ألحقه به "نابليون بونابرت" وتكرس مع المنظور الماركسي بوصفه "وعياً زائفاً" وتبريراً لمصالح الطبقة المهيمنة، قبل أن يستقر في السوسيولوجيا الحديثة كرؤية كونية شاملة تؤطر مواقف الإنسان وجودياً وثقافياً وسردياً.
- **تفكيك البناء السردي (البوليفونية):** كشف التحليل التطبيقي لمعمار البناء السردي في رواية "أنا وحايم" أن الصراع الأيديولوجي يشتغل من خلال استراتيجية نصية واعية؛ حيث وُظّف السارد المشارك والتبئير الداخلي والاسترجاع الزمني لنبش الذاكرة، كما تجلت البوليفونية (تعدد الأصوات) ليس فقط في حوارات الشخوص، بل في "حوارية الأشياء والفضاءات" و"حوارية الذاكرة" التي منحت الرواية عمقاً فلسفياً يكسر حدة الخطاب الإقصائي وينتصر للمشترك الإنساني.
- **أدلجة الزمكان (الكرونوتوب):** بيّنت الدراسة أن الزمان والمكان في الرواية يمثلان بنى دلالية محملة بالمواقف الفكرية؛ حيث انقسم الفضاء إلى "أمكنة أليفة ومغلقة" (بيت حايم) تجسد حصن الهوية التعددية والتعايش التاريخي وتدفع ضد المحو، و"أمكنة مفتوحة ومعادية" (الشارع، الوادي،

القنطرة) تحولت بفعل غطرسة وعنف الاستعمار إلى فضاءات للرعب والترهيب، في حين اشتغل الزمن الاسترجاعي كأداة أيديولوجية لاستعادة شرعية "الزمن الذهبي" (مدرسة جول فيري والعدالة بين التلاميذ) في مواجهة مآزق الحاضر والشتات.

- **التمثلات الأيديولوجية للشخصيات:** تحولت بنيات الشخصيات الروائية عند الحبيب السايح إلى ذوات ونماذج تمثيلية تلخص احتدام الصراع؛ إذ حملت شخصية "الأنا" (السارد) أيديولوجيا الذات الوطنية المقاومة القائمة على التسامح والمساواة، وتجسدت في شخصية "حايم" أيديولوجيا الآخر القريب المشترك في التراب والدم والذاكرة، بينما نهضت الشخصيات الثانوية بدور المحرك الفعلي للصراع؛ فجسد "ألفونسو باتيست" أيديولوجيا الآخر الاستعماري الغازي وعنفه المانع للتعايش، في حين مثلت شخصيتا "موحي وزهيرة" بملابسهما التقليدية (العمامة والجوخ) الوقار والأصالة الثقافية الجزائرية الحاضنة للتعدد.
- **تجليات ومظاهر الاحتكاك:** تبين أن الصراع الأيديولوجي يفرز تمظهرات دينية وثقافية وتاريخية وسياسية حادة؛ حيث تم تكسير أحادية الفصل الطائفي عبر استدعاء الرموز المشتركة كـ "يوسف الصديق"، والمقاومة بمظهر الأصالة (تماهي وقار زهيرة مع الجدة ربيعة)، في حين تجسد الصراع السياسي والتاريخي في ممارسات الفرنسة القسرية ومنع اللسان العربي داخل الثانوية من قِبل "مسيو ويل"، وبث التمييز العنصري الطبقي للاستعمار القائم على مبدأ "فرق تسد" وإقصاء الأهالي في تفاصيل حياتهم اليومية (كمحطة القطار).

قائمة المصادر والمراجع

❖ المصادر

1. المعاجم والقواميس (المصادر الأصلية الأخرى)

- البعلبكي، منير .*المورد: قاموس عربي–إنجليزي*، دار العلم للملايين، بيروت، ط8، 2004.
- *الكامل الكبير: قاموس اللغة الفرنسية الكلاسيكية والحديثة والمعاصرة*، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ت.
- لالاند، أندريه .*موسوعة لالاند الفلسفية*، المجلد 2، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط1، 2001.
- *المنجد الأبجدي*، دار المشرق، بيروت، ط5، 1976.
- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل .معجم *المصطلحات العربية في اللغة والأدب*، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

❖ المراجع

1. الكتب العربية

- الأعرج، واسيني .*الرواية العربية والتحولات الراهنة*، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
- إسماعيل، عز الدين .*الأدب وفنونه: دراسة ونقد*، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 2004.
- بلعلي، آمنة .*المتخيل في الرواية الجزائرية: مقاربة في المرجعيات*، دار الأمل، تيزي وزو، 2003.
- بلعلي، آمنة .*تحولات الخطاب الروائي الجزائري*، دار الأمل، تيزي وزو، 2004.
- بلحسن، عمار .*الأدب والإيديولوجيا في روايات محمد ساري*، د.ن، د.م، د.ت.
- بويجرة، بشير .*الرواية الجزائرية: من التأسيس إلى الحداثة*، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.
- دراج، فيصل .*ذاكرة المغلوبين: الهزيمة والسياسة في الرواية العربية*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002.
- دراج، فيصل .*الرواية وأيديولوجيا السلوك*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002.

- دراج، فيصل .*نظرية الرواية والرواية العربية*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999.
- السايح، الحبيب .*أنا وحايم*، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.
- السعدني، أمين حافظ .*أزمة الإيديولوجيات السياسية*، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2014.
- الصباغ، رمضان .*الفن والإيديولوجيا*، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2005.
- عامر، مخلوف .*الرواية والتحول في الجزائر: دراسة في سوسيولوجيا الرواية الجزائرية*، منشورات رابطة إبداع، الجزائر، 1997.
- عباس، إبراهيم .*الرواية المغاربية: تشكيل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي*، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005.
- عصفور، جابر .*الرواية والسياسة: تطور الشكل الروائي في مصر*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005.
- عصفور، جابر .*الهوية الثقافية والنقد الأدبي*، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2010.
- العروي، عبد الله .*مفهوم الإيديولوجيا*، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط7، 2003.
- عيلان، عمر .*الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي: دراسة سوسيوبنائية لروايات عبد الحميد بن هدوقة*، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2001.
- الغذامي، عبد الله .*النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005.
- خرفي، صالح .*الجزائر والمنعطفات الحاسمة*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- لحميداني، حميد .*بنية النص الروائي: من منظور النقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000.
- لحميداني، حميد .*المتخيل الأيديولوجي في الرواية*، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، 1993.
- مرتضى، عبد الملك .*في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.
- مصايف، محمد .*أثر الثورة في الرواية الجزائرية*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- مصايف، محمد .*الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

- معتوق، فريدريك .*تطور علم اجتماع المعرفة*، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 1982.
- منور، أحمد .*الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- النابلسي، شاكر .*جماليات المكان في الرواية العربية*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994.
- النابلسي، شاكر .*الرواية والسياسة: دراسة في نماذج مختارة*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994.
- العالم، محمود أمين .*الرواية العربية: بين الواقع والأيديولوجيا*، دار المدى، دمشق، 2000.
- العالم، محمود أمين .*وعي الذات والعالم: دراسات في الرواية العربية*، دار الآداب، بيروت، 1986.
- ياسين، السيد .*الأيديولوجيا والخطاب الروائي: دراسة سوسيولوجية*، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 2010.

2. الكتب المترجمة

- باشلار، غاستون .*جماليات المكان*، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1984.
- باختين، ميخائيل .*أشكال الزمن والمكان في الرواية*، ترجمة: وجيه فانوس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990.
- باختين، ميخائيل .*الخطاب الروائي*، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، 1987.
- باختين، ميخائيل .*شعرية دوستويفسكي*، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
- بودرون، ريمون، وبوتريكو، فرنسوا .*المعجم النقدي لعلم الاجتماع*، ترجمة: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986.
- جينيت، جيرار .*خطاب الحكاية: بحث في المنهج*، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997.
- دوبريه، ريجيس .*نقد العقل السياسي*، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، د.ط، د.ت.

- سعيد، إدوارد .*الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق*، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
- سعيد، إدوارد .*تأملات حول المنفى*، ترجمة: ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، ط1، 2004.
- سعيد، إدوارد .*الثقافة والإمبريالية*، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 1997.
- هامون، فيليب .*سيميولوجيا الشخصية الروائية*، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الأمان، الرباط، ط1، 1993.
- هامون، فيليب .*سيميولوجيا الوصف*، ترجمة: إبراهيم الخطيب، دار التكوين، دمشق، ط1، 2005.

3. الرسائل والمذكرات الجامعية

- عموري، السعيد .*الكتابة الإيديولوجية في الرواية العربية المعاصرة: دراسة نقدية*، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013.

4. المراجع الأجنبية

- Guibbert, Louis, and Lagane, René. *Grand Larousse de la langue française*, Seuil, Paris, 1986.
- *Dictionnaire du français*, Dictionnaires Robert, Paris, 1999.
- *Le Petit Robert*, Dictionnaires Le Robert, 1990.

الملخص باللغة العربية

تتناول هذه الدراسة موضوع "الصراع الأيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة"، وتتخذ من رواية "أنا وحايم" للكاتب الحبيب السايح نموذجاً تطبيقياً للبحث.

تهدف المذكرة إلى تفكيك الآليات الفنية والمعمار السردي الذي استند إليه الروائي لصهر المواقف الفكرية والسياسية وتحويلها من مجرد أفكار تجريدية إلى بنيات جمالية وسردية داخل النص.

ولتحقيق هذا الهدف، اعتمدت الدراسة على المنهج البنيوي السوسيولوجي (السوسيو–بنائي)، مستعينة بأطروحات النقد الحواري وتعدد الأصوات (البوليفونية).

وقد خلص البحث إلى أن الصراع الأيديولوجي في الرواية يشتغل عبر استراتيجية نصية دقيقة تشمل أدلجة الزمكان (الكرونوتوب)، وتقسيم الشخصيات إلى نماذج تمثيلية تلخص جدلية (الأنا والآخر)، بالإضافة إلى فرز تمظهرات حادة للصراع على مستويات دينية، وثقافية، وتاريخية، وسياسية، مما يجعل من النص ممارسة نقدية تسعى لإعادة قراءة التاريخ والانتصار للمشترك الإنساني والتعددية.

الكلمات المفتاحية: الأيديولوجيا، الصراع الأيديولوجي، الرواية الجزائرية المعاصرة، البوليفونية، الحبيب السايح، أنا وحاييم.

الملخص باللغة الانجليزية

This study examines the theme of "Ideological Conflict in the Contemporary Algerian Novel," taking the novel *"Me and Haim"* by the writer El-Habib Sayah as a model for analysis. The objective of this thesis is to decode the artistic mechanisms and narrative structure upon which the author relied to fuse intellectual and political positions, transforming them from abstract ideas into aesthetic and novelistic structures within the text.

To achieve this, the study adopts a socio-critical approach (sociology of the novel), drawing upon theories of dialogism and polyphony (multivocalism). The research reveals that the ideological conflict in the novel operates through a precise textual strategy that includes the ideologization of space-time (the chronotope), the distribution of characters into representative models summarizing the dialectic of (the Self and the Other), as well as the emergence of acute manifestations of conflict at religious, cultural, historical, and political levels. This transforms the text into a critical practice that attempts to reread history and celebrate shared human values and pluralism.

Keywords:

Ideology, Ideological Conflict, Contemporary Algerian Novel, Polyphony, El-Habib Sayah, Me and Haim.